المجلة العربية للعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

❖ التعزيز الدلالي: مقاربة دلالية قرآنية في كلمة (عذاب)
نوال الحلوة

جامعة
الكويت

مجلس
النشر العلمي

ISSN: 1026 - 9576

العدد 127 - السنة 32

صيف 2014

التعزيز الدلالي
مقاربة دلالية قرآنية في كلمة (عذاب)

نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب،
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، السعودية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تتبُّع أسباب طول عمر بعض الألفاظ ومكافحتها للبلى؛ إذ تتخذ اللفظة وسائل واستراتيجيات متنوعة صوتياً وصرفياً ودلالياً وتركيبياً؛ وذلك لتعزيز وجودها وطول بقائها؛ إذ تم تتبُّع تلك الوسائل باستنطاق مفردة (عذاب) في القرآن الكريم، ثم محاولة بناء مقاربة دلالية حول قوانين التعزيز الدلالي لفظاً ومعنى، والتي كشفت عن بعض مظاهرها، وأشدها وضوحاً التعزيز الصوتي؛ فقوة أصوات اللفظة صفة ومخرجاً، وامتدادها عبر جهاز النطق، وتباعد مخارج حروفها وتواليها - يزيد من قوة اللفظة ويعزِّز وجودها.

ويكشف البحث عن أثر التعزيز الصرفي في طول عمر الكلمة من خلال اعتدال الوزن طولاً وقصراً، وانسجامه مع القوانين الصوتية التي تدعم اللفظة وتقوي نسيجها.

أما التعزيز التركيبي فكان بالاقتران والمصاحبة؛ فاللواحق تنعش اللفظة وتطعمها ضد الهجر.

وأكَّد البحث أثر التعزيز الدلالي في طول عمر اللفظة من خلال تعدد المعنى؛ مما يجعلها تطوف في حقول عدّة فتتنابها المبالغة والتكثيف والنحت والانزياح، وعلى الرغم من نجاح الفرضية التي قام عليها البحث فإنها تحتاج إلى تأكيد، فلعل ذلك يسهم في كشف غموض المعنى وسبر مسالكه.

المدخل

الحمد لله رب العزة والكبرياء، وصلى الله وسلم على خاتم الرسل والأنبياء.

وبعد؛ فما زال المعنى شاغل الدنيا وشاغل الناس؛ لذا احتل مكانته في الدراسات اللسانية قديماً وحديثاً، فظهرت فيه نظريات عدة كالسلوكية، والإشارية، والتحليلية، والسياق، والحقول، ثم جاءت البنيوية وأضفت بظلالها المنطقية على المعنى، وتلتها التداولية ولا سيما نظرية أفعال الكلام التي اعتنت بالجانب التواصلي للغة.

والآن تشهد الدراسات الدلالية ازدهاراً كغيرها من الدراسات اللغوية، وهي نتيجة حتمية للتقدم العلمي الذي يقوده العقل، بحيث أصبحت الألفاظ بمعانيها محوراً لدراسات شتى قام بها - إضافة إلى اللغويين - علماء النفس والاجتماع والتفسير والأنثروبولوجيون ورجال القانون والسياسة والإعلام والأدباء؛ فكل معرفة هي - بلا مغالاة - أفكار أو معان تدور في فلك الألفاظ.

وانطلاقاً من أن للألفاظ حظاً في الحياة والدوران والشيوع على الألسنة لأسباب لغوية وغير لغوية؛ فإني أعرض في هذا البحث لسبب من أسباب حياة اللفظة وأسلوباً من أساليب بقائها وقد سمّيتُه (التعزيز الدلالي)؛ حيث تتبعتُ في هذا البحث مظاهر هذا التعزيز في مفردة (عذاب) في القرآن الكريم التي حظيت بالبقاء والديمومة.

والتعزيز الدلالي يدور مع دوران عجلة المعنى؛ فاللفظ المعزز يحافظ على كيانه، ويكمل دورته، ويستقر في كيان اللغة أمام ألفاظ أخرى تهلك تحت عجلة المعنى، فتبلى وتموت؛ لذا فإن التعزيز طاقة تنفذ إلى اللفظ، وتبث فيه الروح كلما كاد يخبو، وهنا يطول عمر الكلمة، وتبقى صامدة عزيزة أمام الهجر والبلى.

الإشكال

يحاول هذا البحث أن يتتبع مسيرة الكلمة وصراعها من أجل البقاء، ممثلة في (عذاب)، وأن يصف عوامل قوة هذه المفردة داخلياً وخارجياً وقدرتها على الصمود أمام عوامل البلى.

ويتمثل الإشكال في التساؤلات التالية:

1- كيف تحافظ المفردة على نفسها ضد البلى؟

2- ما عوامل التعزيز اللفظية والمعنوية التي تدعم وجودها، وتحميها من الهجر؟

3- هل الدراسة التطبيقية قادرة على تتبع مظاهر التعزيز ورصد قوانينه؟

لذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى اقتفاء مظاهر التعزيز الدلالي واستجلاء استراتيجياته باستنطاق مفردة (عذاب) بنية ودلالة وتركيباً لبناء مقاربة دلالية حول قوانين التعزيز لفظاً ومعنى.

أما موضوع الاشتغال فهو مفردة (عذاب) في القرآن الكريم وفي ضوء المعاجم العربية.

أما المنهج فهو منهج تطبيقي، وصفي، تحليلي، استقرائي.

المفاهيم

التعزيز مفهوم لم أجد من تطرق له؛ وإنما قادني إلى النظر فيه تتبعي لـ(حقل المشاعر) في القرآن الكريم، إذ استوقفني شيوع (عذاب) للدلالة على الألم الجسدي دون غيره[1]، وكذلك قلة مرادفاتها، وتعدد معانيها، فوجدت اللفظة عزيزة منيعة، متفردة بالدلالة في النص القرآني، بخلافها في المعجم، فعزمت على تتبع هذه المفردة، فوجدتها قد عُزِّزت من كل جانب عميقة وظاهرة، مفردة ومركبة، شكلاً ودلالة.

أما **(التعزيز)** لغة فنجد أن ابن منظور عرَّفه بما يلي:

التعزيز من: عزَزْتُ القوم، وأعزَزْتهم، وعزَّزْتهم: قوَّيتهم وشددتهم، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14]؛ أي قوَّينا وشدَّدنا[2].

أما اصطلاحاً فهو لا يبتعد عن معناه اللغوي.

فالتعزيز اصطلاحاً - كما أراه - هو "تقوية المفردة لفظاً ومعنى وتركيباً بما يحفظها من الهجر والبلى".

ولم أجد هذا المصطلح أو ما يقاربه في الدراسات الدلالية قديماً وحديثاً، إلا ما أشار إليه ستيفن أولمان إشارة عابرة عند حديثه عن التضاؤل التدريجي حيث قال: "فالمجازات مثلاً... تفقد ألوانها المعنوية الخاصة تحرم قوتها التعبيرية الإيحائية بكثرة التكرار، ومن ثم تصبح هذه الصورة التعبيرية في حاجة إلى **تعزيز** وتقوية دائمين"؛ فقوله "تعزيز" فسَّره بما يليه "تَقْوِيَة"[3]، وهذا يتفق مع ما اصطلحنا عليه[4].

هذا، وقد جاء البحث في مقدمة وقسمين يضمان سبعة مباحث، تليها خاتمة تلخص أهم النتائج، وملحقٌ لدلالة (عذاب) في المعاجم العربية. وثبت بالهوامش والمصادر والمراجع، أما القسمان ومباحثهما فهما:

القسم الأول - التعزيز اللفظي، وفيه:

المبحث الأول: التعزيز الصوتي (مفرداً ومركباً).

المبحث الثاني: التعزيز الصرفي في وزن (فَعَال).

المبحث الثالث: التعزيز التركيبي (الاقتران).

القسم الثاني - التعزيز المعنوي، وفيه:

المبحث الرابع: التعزيز والمعنى الأساسي.

المبحث الخامس: التعزيز والمعنى التاريخي.

المبحث السادس: التعزيز والمعنى الاجتماعي.

المبحث السابع: التعزيز والمعنى الموسوعي.

أولاً: التعزيز اللفظي

المبحث الأول - التعزيز الصوتي في (عذاب)

أ- الأصوات المفردة

الصوت جسد روحه المعنى؛ لذا يُعنى الدلاليون برصد مظاهر إسقاط المعنى في الصوت، وبيان أثر الصوت على المعنى، وسنحاول هاهنا استجلاء نواحي القوة الصوتية في أصوات (ع. ذ. ا.ب) وهل من أثر لهذه القوة في تعزيز اللفظة وثباتها وحفظها من البلى؟

فـ(عذاب) تتكون من خمسة أصوات، ثلاثة صوامت و صائت وهو الألف، وصائت قصير (الفتحة) بعد صوت العين، وسنصف هذه الأصوات وصفاً صوتياً من حيث الصفة والمخرج:

1 - صوت العين

أ - مخرجها: فهي من أصوات وسط الحلق، وأصوات الحلق سبعة عند سيبويه وجمهور اللغويين[5] القدماء، وستة عند الخليل وعلماء القراءات حيث أسقطوا الألف منها[6].

أما المحدثون فقد نصوا على أن أصوات الحلق اثنان؛ فأسقطوا الهمزة فهي تخرج من الحنجرة، كما أسقطوا الألف أيضاً؛ فهي - عندهم - مدّ لا مخرج لها[7]، وأسقطوا الغين والخاء فهما طبقيان، واتفقوا مع القدماء على أن العين من الحلق[8].

ب - صفاتها: فهي عند القدماء مجهورة، مستفلة، منفتحة، متوسطة بين الشدة والرخاوة[9]، وعند المحدثين: صامت، حلقي، احتكاكي، مجهور، مرقق، مستفل[10].

2 - صوت الذال

أ - مخرجها: عند الخليل لثوية، وعند سيبويه تخرج من بين طرف اللسان والثنايا[11]، أما عند المحدثين فهي من الأصوات الأسنانية[12].

ب - **صفاتها**: عند القدماء صوت مجهور، مستفل، رخو، منفتح[13]، وعند المحدثين صوت احتكاكي، مجهور[14].

3 - صوت الألف

أ - **مخرجها**: عند سيبويه وجمهور اللغويين القدماء من الحلق، وعند الخليل من الجوف، وعند المحدثين صوت مد لا مخرج له، كما أشرنا سابقاً.

ب- **صفاتها**: عند القدماء: مجهورة، مستفلة، هاوية، جَرْسيَّة (ذات جرس)، منفتحة[15]، وعند المحدثين: صائت مجهور[16]، والفتحة صوت صائت مجهور، وحركة أمامية مفتوحة.

4- صوت الباء

أ - **مخرجها**: اتفق القدماء والمحدثون على أنها شفوية[17].

ب - **صفاتها**: عند القدماء: شديدة، مجهورة، منفتحة، مستفلة، مذلقة، قلقلة[18]، وعند المحدثين: شفوية، مجهورة، مرققة، انفجارية[19].

ولعلنا من هذا البسط لمخارج مفردة (عذاب) نستطيع أن نتبين مواطن قوتها الصوتية، ولقد اتفق علماء العربية على أن أحسن الحروف مخرجاً هو ما جاء من أول الحلق، ثم وسط الفم، ثم آخره مما بين الشفتين، ومثلوا لذلك (ع. ذ. ب)، كما أكدوا أن التأليف ثلاثة أضرب أحسنها تأليفاً المتباعدة[20]، قال ابن جني: "وأحسن التأليف ما بُوعد فيه بين الحروف"[21]، وذكر السيوطي في المزهر: "أن أحسن التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى"[22]، حتى إن بعض العلماء أفرط فجعل تباعد الحروف شرطاً في الفصاحة[23].

مما سبق يتبين لنا أن (عذاب) قد جمعت في أصواتها صفات قوة:

الأولى: امتدادها عبر مخارج الأصوات كلها، فمن أول الحلق (ع) إلى الفم (ذ) إلى الشفتين (ب)، فجمعت بأصواتها أول آلة النطق وآخرها.

الثانية: تباعد حروفها؛ مما زادها خفة في النطق، وتفرداً في المخرج، ووضوحاً في السمع.

الثالثة: قوة أصواتها صفةً ومخرجاً.

رابعاً: تحدُّرها صوتياً من الأعلى (العين) إلى الأسفل (الباء)، فهذه القوة الصوتية للكلمة صفة ومخرجاً عزَّزت من وجودها في نسيج اللغة، ومنحتها الثبات وطول الاستعمال.

ب - التعزيز الصوتي التركيبي

وهو المعنى الذي يجمع بين المعاني الصوتية لحروف الكلمة مع اعتبار ترتيبها فيه، وأثر ذلك الترتيب على المعنى[24].

وفي (عذاب) جاءت العين، وتلتها الذال، ثم الألف ثم الباء، فالأصوات إذا تراكبت شكلت نسيجاً صوتياً مختلفاً، فإذا وقع التآلف والتشاكل بينها أدى ذلك إلى تقليل الجهد العضلي، وسهولة النطق، وجمال الجرس.

ولو تأملنا في (عذاب) نجد أن (العين) قد جمعت فيها من صفات القوة الجهر ونصاعة المخرج، فهي أوضح في السمع من الهمزة، وللعين دلالة أخرى فهي مشحونة عاطفياً؛ إذ توحي (العنعنة) بالحبس والاستمرار والامتداد والانتقال من حال إلى حال[25]؛ مما يؤكد معنى المرارة والألم فيها[26]، كما أن التحدُّر من أقصى الحلق في العين إلى أدنى الفم في الذال يدل على العنف والقوة فيها، أما الألف فإن المد الذي فيها كأنه يزيد من امتداد الألم والوجع الذي في العين (فالمد شحنة فكرية له طاقته النفسية والتي تمتد في شعاب الفكر)[27]، فالمد روح المعنى لذا تستعمله العرب للتحسُّر والندبة، فتشاكل بذلك مع الاستمرارية التي في العين مما أدّى إلى استطالة المعنى وامتداده.

أما (الباء) فهي صوت مجهور، شديد، مقلقل، منفتح، مستفل، ولعلنا نلاحظ صفات القوة والشدة فيها، وهي أيضاً تتفق مع العين في الجهر والانفتاح والاستفال، ولصفة الشدة دور في إحكام الغلق فيها؛ فكأنها قد أوصدت على التوجع والألم باباً، أما القلقلة فهي لتأكيد الاضطراب والتحول والحركة في اللفظة، وتتجلى القوة في (عذاب) أن كل حروفها مجهورة؛ هذا الجهر زاد من رنينها وإيقاعها ليتفق مع مضمون التوجع بما يحتويه من اضطراب وقلق، فجعل

لهذه الكلمة درجة في السبك، يقول ابن سنان الخفاجي في شروط فصاحة اللفظ:

"أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية في غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة. . . . ومثله في الحروف (ع ذ ب) فإن السامع يجد لقولهم (العذيب) اسم موضع، و(عُذَيبة) اسم امرأة (وعَذْب، وعَذَاب وعَذَب وعَذَبات) ما لا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ في التأليف، وليس سبب ذلك بُعد الحروف في المخارج فقط، ولكنه تأليف مخصوص مع البعد، ولو قدمت الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصيغة الأولى في تقديم العين مع الذال، لضرب من التأليف في النغم، يفسده التقديم والتأخير[28].

ولعلنا مما سبق نستخلص قوة (عذاب) صوتياً فيما يلي:

1 - أن كلمة (عذاب) تمتلك في نسيجها الداخلي صفات القوة مخرجاً وصفة؛ فاجتمع فيها الجهر والشدة والقلقلة والمد والجرس مما منحها قوة البقاء وطول العمر، وقلل من تعرضها للهجر والبلى[29].

2 - أن أصوات الكلمة بمخارجها وصفاتها قد حملت شحنة عاطفية عبَّر عنها اللفظ بالبعد والعمق والألم والتوجع والامتداد والشدة والاضطراب، وكذلك الجهر الذي زاد من الوضوح السمعي، فكان له وقعة لدى المتلقي.

وهذا يؤكد أن للأصوات ومركبات الأصوات قدرة تعبيريَّة للنفاذ إلى المعنى، وذلك هو سر الكلمات التي تعبّر بأصواتها عن معناها[30].

هذه العوامل الصوتية المتوالية كثفت من حضور الكلمة، وعزّزت من وجودها، وكانت حفظاً لها من البلى والهجر.

المبحث الثاني - التعزيز الصرفي في وزن (فَعَال)

وزن "فَعَال" وزنٌ للصفة المشبهة، والصفة المشبهة تدل على الثبوت والاستمرار واللزوم[31]. ومما يدل على أن هذه الصفة ثابتة في صاحبها، فإذا أرادت العرب فيها الحدوث جعلتها اسم فاعل.

يقول ابن يعيش: "هذه الصفات وإن كانت من أفعال ماضية إلا أن المعنى الذي دلت عليه أمر مستقر ثابت متصل بحال الإخبار"[32].

و(فَعَال) صفة مشبهة مسموعة غير مقيسة، ومثلها (فِعال) بالكسر، أما الضم (فُعَال) فهي مقيسة، كما أنها صيغة مبالغة من (فَعِيل) على القياس مثل: (طويل) أو (طُوال) و(كبير) و(كُبار)[33].

ويرى ابن سيده أن (فعيل) و(فَعَال) صيغتان بمعنى واحد، فهما يتعاقبان على المعنى[34]، إلا أن د. فاضل السامرائي رد ذلك؛ إذ يرى أن (فَعَال) عدول من (فعيل)؛ وذلك طلباً لزيادة الوصف، وعلى هذا فـ(فَعَال) أبلغ لزيادة المد في الألف، فهو أقوى من المد في الياء[35]؛ مما زاد من الشحنة العاطفية المحمّلة فيها.

أما من حيث الشكل فصيغة (فَعَال) رباعية، والرباعي أقوى من الخماسي، كما أن الصيغة الطويلة تكون أكثر عرضة للبلى الصوتي من خلال القِطْعَة؛ فنهايات الكلمات دائماً خائرة القوى؛ مما يجعلها عرضة للحذف ومن ثم البلى؛ لذا قد تتعرض الكلمات للتضاؤل التدريجي بسبب طولها، فتستبدل بمرادف يكون أقل عدداً[36].

أما (فَعَال) فكونها رباعية زادها قوة وبقاء؛ لأن الكلمات شديدة القصر، كما يقول أولمان: "كثيراً ما تختفي ليحل محلها منافس أكثر أهمية"[37].

وتتميز (فَعَال) بانسجامها مع كثير من القوانين الصرفية فالألف بما فيها من مدٍّ وفتح يسّر النطق بالكلمة وجعلها تتميز بالخفة وهذا يتناسب مع قانون (الجهد الأقل)، ووقوع الألف في وسط الصيغة جعلها أشد ثباتاً وتوازناً، وهذا يحقق قانون (قوة الموقع).

ومن سمات القوة في (عَذَاب) صرفياً صحة حروفها عدا الألف، وكون الألف وسطاً يجعلها وتداً للكلمة أما (العين والذال والباء) فهي أصوات صوامت جَلِدةٌ قويةٌ، فلما كانت العين هي العتبة، والباء هي الغلق، أصبحت الكلمة أقدر على المقاومة والبقاء.

من التحليل السابق نجد أن (عذاب) عندما جعلت في وزن (فَعَال) اكتسبت قوة صرفية تمثلت فيما يلي:

1 - أن الصفة المشبهة في (فَعَال) تدل على الثبوت والاستمرار واللزوم ناهيك عما تحمله دلالة الكلمة من هذه المعاني.

2 - أن صيغة (فَعَال) بالفتح أبلغ من الكسر.

3 - أن الرباعي أكثر صموداً أمام البلى والتضاؤل من الخماسي، أما الثلاثي فالكلمات القصيرة أكثر عرضة للزوال.

4 - استأثرت (فَعال) بكثير من القوانين الصرفية القوية كقانون الجهد الأقل مع الفتح، وقانون القوة في الصيغة وفي الصفة وفي المخرج وفي الموقع، وكذلك قوتها بالصحة، فلم يرد الاعتلال في بدايتها ولا نهايتها، كذلك قوتها بكثرة الحركات فيها، فالمتحرك أقوى من الساكن.

كل تلك العوامل الصرفية جعلت من الصيغة عتيَّةً وجَلِدةً أمام التغيرات؛ مما عزَّز من وجودها وأطال بقاءها.

المبحث الثالث - التعزيز التركيبي (الاقتران)

لقد نالت الوحدات الدلالية المركبة عناية اللغويين في السنوات الأخيرة، وهي تجمعات دلالية تتخذ ثلاثة أشكال ما بين مرنة، وهي (المتواردات)، ومتلازمة وهي (المصاحبة)، والمتكلسة أو المتحجرة وهي (التعابير الاصطلاحية)، وهذه الأخيرة لا تقبل فصل الرأس عن الذيل فيها؛ لشدة تلازمها، أما التوارد فهو تجمع حُرّ ليس له قيد، بخلاف المصاحبة وهي التي يكثر فيها توارد الرأس من الذيل إلا أنهما لم يصلا إلى حد التَّحَجُّر.

ولقد حظيت (عذاب) بتجمع تراكيبي مكثف جاء في مائة وستة وسبعين موقعاً ما بين التوارد كما في (عذاب/ عقيم، نكير، مقيم) والتصاحب كما في (ألم)؛ حيث ورد في أربعة وستين موضعاً، و(عظيم) وجاءت في واحد وعشرين موضعاً.

وعلى الرغم مما تثيره لفظة (عذاب) من معنى عاطفي ذاتي يحمل شعوراً قوياً بالشدة والألم فإن قوة الاستدعاء فيها داخل السياق عظيمة، فقد تضافرت مع خمس وعشرين مفردة، وتكررت معها في مائة وستة وسبعين موضعاً. هذا التجمع الدلالي أكسب (عذاب) دلالة جديدة تجلّت فيها بلاغة القرآن الكريم، واكتسبت اللفظة فيه تعظيماً وتهويلاً.

ومع سطوة المتصاحبات مع (عذاب) وتكرارها في القرآن فإن ذلك لم يسلبها شيئاً من تأثيرها، أو قوتها التعبيرية؛ إذ قامت تلك المتصاحبات بالتخصص والتعزيز والتقوية الدائمين للمفردة، فاجتمع فيها التكرار في ذاتها والجِدّة في مصاحبها، هذه الجدة حققت عنصر التأثير والمفاجأة لدى المتلقي، كما حقق التكرار نوعاً من التشاكل اللفظي، ثم جاءت المصاحبة فحققت نوعاً من التشاكل المعنوي؛ فكثيرٌ منها مترادفات أو متواردات من حقل واحد، فكان لهذا التشاكل قوة في حضور اللفظة، وتعزيزٌ لمعناها، وتحصينٌ لها من البلى.

فنجد (عذاب) قد صاحبها (شديد/ كبير/ غليظ/ عظيم)، فهي متواردات متشابهة دلالياً تصف مِقْدَاراً، أما في (عذاب) وقد صاحبها(النار/ الحريق/ السموم/ جهنم) فهي شبه مترادفات للنار، ومن المعالجة الدلالية لشبه المترادفات نجد في (عذاب النار) أن (النار) أصل، أما (الجحيم) و(السموم) و(الحريق) فهي فروعٌ بأوصاف متعددة لها؛ بل هي أشكال متعددة لأصل يجمع بين أشباه من المترادفات، بينها عموم وخصوص.

وما تزال (عذاب) تستخدم وسائل عدة داخل النص القرآني كإعادة الصياغة كما في (شديد العذاب) و(عذاب شديد) و(عذاب أليم/ عذاب شديد) و(عذاب عظيم/ عذاب كبير)؛ فنجد إعادة الصياغة إما بالتقديم وإما بالتأخير كما في الأولى، وإما بالاستبدال الدلالي كما في الثانية، وهذا التنوع الذي أحدثته إعادة الصياغة أشبه ما يكون تطعيماً لغوياً لـ(عذاب) احتفظت فيه بتوهجها، وشدة جذبها الدلالي.

وتُمثِّل رؤوس المركبات محوراً بارزاً في تحديد دلالتها، وهذا الرأس له خصائص عديدة؛ فقد تكون نابعة من هويته كحجمه ولونه واتجاهه وبعده

ووضعه، وقد تكون تكوينية؛ أي علاقته بمكوناته أو أجزائه، أو خصائص غائية تستهدف غاية الرأس ووظيفته، أو خاصة تتدخل في أصله ومصدره، وهذه الخصائص تعد قيوداً دلالية نستعين بها لفهم الكلمة عندما تدمج مع كلمة أخرى في اللغة، فهي التي تحدد نمط الاسم الذي يركب معها[38].

وكل هذا نجده في (عذاب)؛ حيث كانت سبباً لتنوع مركباتها، ولا يخفى أثر هذه اللاحقة على المفردة؛ إذ يقول فندريس: "فإذا كانت الكلمة مبتذلة أو فقدت قوتها، وأصبحت لا تكفي في إعطاء المعنى، فكأن العقل قد أهمل الأصل ليركز انتباهه على اللاحقة التي أصبحت جزءاً من الكلمة"[39].

وما تزال مصفوفة مصاحبات (عذاب) تكشف لنا عن خصائص جديدة، فنجد أن الإيقاع والشدة والألم لم يقف عند دلالة المفردة، ولم يكتف بمصاحبها، بل استعمل القرآن وسيلة تعزيز أخرى، وهي (التوازن الصوتي) بين المتصاحبات في المفردة، وذلك في سياق القرآن كله، هذا التوازن جاء بين (فَعَال) و(فَعيل) (عذاب/ أليم/ شديد/ كبير) في مواضع عدة؛ إذ تشاكلا في الإيقاع الصوتي بحرف المد، ففي (فَعال) الألف، وفي (فعيل) الياء، هذا التشاكل الصوتي أسهم في الاستيلاء على عاطفة المتلقي، وهناك توازن من نوع آخر، وهو التوازن الدلالي؛ فـ(عذاب) دالة على الاستغراق والشدة، ومصاحباتها لهن الدلالة نفسها إما زماناً وإما مكاناً وإما مقداراً؛ فهذه المشاكلة الدلالية حملت اللفظة شحنة عاطفية تشد المتلقي، وتثير خياله، كل ذلك يثبت أن التوازن بشكليه اللفظي والمعنوي يقوي الدلالة، ويعزز المعنى.

أما التوازن في نطاق النص القرآني كله فإن (فَعَال) في (عذاب) تضافرت مع (فعيل) في مائة وأربعة وثلاثين موضعاً؛ هذا التصاحب عظم من شأن اللفظ وشأن المعنى، فامتزج الوزنان معاً فأصبحا كالجسد الواحد كما في (عذاب عظيم) و(عذاب أليم).

كما يتضح لنا في هذه المتوازنات قصر عبارتها؛ هذا القصر جعل لها إيقاعاً صوتياً متحداً تضافر مع المعنى فيهما، فلما امتدت تلك العبارة في النص اللغوي أحدث ذلك الركام اللغوي رهبةً لدى المتلقي كلما صادفها في السياق

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

❖ التعزيز الدلالي: مقاربة دلالية قرآنية في كلمة (عذاب)
نوال الحلوة

جامعة
الكويت

مجلس
النشر العلمي

ISSN: 1026 - 9576

العدد 127 - السنة 32

صيف 2014

التعزيز الدلالي
مقاربة دلالية قرآنية في كلمة (عذاب)

نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب،
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، السعودية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تتبُّع أسباب طول عمر بعض الألفاظ ومكافحتها للبلى؛ إذ تتخذ اللفظة وسائل واستراتيجيات متنوعة صوتياً وصرفياً ودلالياً وتركيبياً؛ وذلك لتعزيز وجودها وطول بقائها؛ إذ تم تتبُّع تلك الوسائل باستنطاق مفردة (عذاب) في القرآن الكريم، ثم محاولة بناء مقاربة دلالية حول قوانين التعزيز الدلالي لفظاً ومعنى، والتي كشفت عن بعض مظاهرها، وأشدها وضوحاً التعزيز الصوتي؛ فقوة أصوات اللفظة صفة ومخرجاً، وامتدادها عبر جهاز النطق، وتباعد مخارج حروفها وتواليها - يزيد من قوة اللفظة ويعزِّز وجودها.

ويكشف البحث عن أثر التعزيز الصرفي في طول عمر الكلمة من خلال اعتدال الوزن طولاً وقصراً، وانسجامه مع القوانين الصوتية التي تدعم اللفظة وتقوي نسيجها.

أما التعزيز التركيبي فكان بالاقتران والمصاحبة؛ فاللواحق تنعش اللفظة وتطعمها ضد الهجر.

وأكَّد البحث أثر التعزيز الدلالي في طول عمر اللفظة من خلال تعدد المعنى؛ مما يجعلها تطوف في حقول عدّة فتتنابها المبالغة والتكثيف والنحت والانزياح، وعلى الرغم من نجاح الفرضية التي قام عليها البحث فإنها تحتاج إلى تأكيد، فلعل ذلك يسهم في كشف غموض المعنى وسبر مسالكه.

ويتمثل الإشكال في التساؤلات التالية:

1- كيف تحافظ المفردة على نفسها ضد البلى؟

2- ما عوامل التعزيز اللفظية والمعنوية التي تدعم وجودها، وتحميها من الهجر؟

3- هل الدراسة التطبيقية قادرة على تتبع مظاهر التعزيز ورصد قوانينه؟

لذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى اقتفاء مظاهر التعزيز الدلالي واستجلاء استراتيجياته باستنطاق مفردة (عذاب) بنية ودلالة وتركيباً لبناء مقاربة دلالية حول قوانين التعزيز لفظاً ومعنى.

أما موضوع الاشتغال فهو مفردة (عذاب) في القرآن الكريم وفي ضوء المعاجم العربية.

أما المنهج فهو منهج تطبيقي، وصفي، تحليلي، استقرائي.

المفاهيم

التعزيز مفهوم لم أجد من تطرق له؛ وإنما قادني إلى النظر فيه تتبعي لـ(حقل المشاعر) في القرآن الكريم، إذ استوقفني شيوع (عذاب) للدلالة على الألم الجسدي دون غيره[1]، وكذلك قلة مرادفاتها، وتعدد معانيها، فوجدت اللفظة عزيزة منيعة، متفردة بالدلالة في النص القرآني، بخلافها في المعجم، فعزمت على تتبع هذه المفردة، فوجدتها قد عُزِّزت من كل جانب عميقة وظاهرة، مفردة ومركبة، شكلاً ودلالة.

أما **(التعزيز)** لغة فنجد أن ابن منظور عرَّفه بما يلي:

التعزيز من: عزَزْتُ القوم، وأعزَزْتهم، وعزَّزْتهم: قوَّيتهم وشددتهم، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14]؛ أي قوَّينا وشدَّدنا[2].

أما اصطلاحاً فهو لا يبتعد عن معناه اللغوي.

أولاً: التعزيز اللفظي

المبحث الأول - التعزيز الصوتي في (عذاب)

أ- الأصوات المفردة

الصوت جسد روحه المعنى؛ لذا يُعنى الدلاليون برصد مظاهر إسقاط المعنى في الصوت، وبيان أثر الصوت على المعنى، وسنحاول هاهنا استجلاء نواحي القوة الصوتية في أصوات (ع. ذ. ا.ب) وهل من أثر لهذه القوة في تعزيز اللفظة وثباتها وحفظها من البلى؟

فـ(عذاب) تتكون من خمسة أصوات، ثلاثة صوامت و صائت وهو الألف، وصائت قصير (الفتحة) بعد صوت العين، وسنصف هذه الأصوات وصفاً صوتياً من حيث الصفة والمخرج:

1 - صوت العين

أ - مخرجها: فهي من أصوات وسط الحلق، وأصوات الحلق سبعة عند سيبويه وجمهور اللغويين[5] القدماء، وستة عند الخليل وعلماء القراءات حيث أسقطوا الألف منها[6].

أما المحدثون فقد نصوا على أن أصوات الحلق اثنان؛ فأسقطوا الهمزة فهي تخرج من الحنجرة، كما أسقطوا الألف أيضاً؛ فهي - عندهم - مدّ لا مخرج لها[7]، وأسقطوا الغين والخاء فهما طبقيان، واتفقوا مع القدماء على أن العين من الحلق[8].

ب - صفاتها: فهي عند القدماء مجهورة، مستفلة، منفتحة، متوسطة بين الشدة والرخاوة[9]، وعند المحدثين: صامت، حلقي، احتكاكي، مجهور، مرقق، مستفل[10].

2 - صوت الذال

أ - مخرجها: عند الخليل لثوية، وعند سيبويه تخرج من بين طرف اللسان والثنايا[11]، أما عند المحدثين فهي من الأصوات الأسنانية[12].

الثالثة: قوة أصواتها صفةً ومخرجاً.

رابعاً: تحدُّرها صوتياً من الأعلى (العين) إلى الأسفل (الباء)، فهذه القوة الصوتية للكلمة صفة ومخرجاً عزَّزت من وجودها في نسيج اللغة، ومنحتها الثبات وطول الاستعمال.

ب - التعزيز الصوتي التركيبي

وهو المعنى الذي يجمع بين المعاني الصوتية لحروف الكلمة مع اعتبار ترتيبها فيه، وأثر ذلك الترتيب على المعنى[24].

وفي (عذاب) جاءت العين، وتلتها الذال، ثم الألف ثم الباء، فالأصوات إذا تراكبت شكلت نسيجاً صوتياً مختلفاً، فإذا وقع التآلف والتشاكل بينها أدى ذلك إلى تقليل الجهد العضلي، وسهولة النطق، وجمال الجرس.

ولو تأملنا في (عذاب) نجد أن (العين) قد جمعت فيها من صفات القوة الجهر ونصاعة المخرج، فهي أوضح في السمع من الهمزة، وللعين دلالة أخرى فهي مشحونة عاطفياً؛ إذ توحي (العنعنة) بالحبس والاستمرار والامتداد والانتقال من حال إلى حال[25]؛ مما يؤكد معنى المرارة والألم فيها[26]، كما أن التحدُّر من أقصى الحلق في العين إلى أدنى الفم في الذال يدل على العنف والقوة فيها، أما الألف فإن المد الذي فيها كأنه يزيد من امتداد الألم والوجع الذي في العين (فالمد شحنة فكرية له طاقته النفسية والتي تمتد في شعاب الفكر)[27]، فالمد روح المعنى لذا تستعمله العرب للتحسُّر والندبة، فتشاكل بذلك مع الاستمرارية التي في العين مما أدّى إلى استطالة المعنى وامتداده.

أما (الباء) فهي صوت مجهور، شديد، مقلقل، منفتح، مستفل، ولعلنا نلاحظ صفات القوة والشدة فيها، وهي أيضاً تتفق مع العين في الجهر والانفتاح والاستفال، ولصفة الشدة دور في إحكام الغلق فيها؛ فكأنها قد أوصدت على التوجع والألم باباً، أما القلقلة فهي لتأكيد الاضطراب والتحول والحركة في اللفظة، وتتجلى القوة في (عذاب) أن كل حروفها مجهورة؛ هذا الجهر زاد من رنينها وإيقاعها ليتفق مع مضمون التوجع بما يحتويه من اضطراب وقلق، فجعل

يقول ابن يعيش: "هذه الصفات وإن كانت من أفعال ماضية إلا أن المعنى الذي دلت عليه أمر مستقر ثابت متصل بحال الإخبار"[32].

و(فَعَال) صفة مشبهة مسموعة غير مقيسة، ومثلها (فِعال) بالكسر، أما الضم (فُعَال) فهي مقيسة، كما أنها صيغة مبالغة من (فَعِيل) على القياس مثل: (طويل) أو (طُوال) و(كبير) و(كُبار)[33].

ويرى ابن سيده أن (فعيل) و(فَعَال) صيغتان بمعنى واحد، فهما يتعاقبان على المعنى[34]، إلا أن د. فاضل السامرائي رد ذلك؛ إذ يرى أن (فَعَال) عدول من (فعيل)؛ وذلك طلباً لزيادة الوصف، وعلى هذا فـ(فَعَال) أبلغ لزيادة المد في الألف، فهو أقوى من المد في الياء[35]؛ مما زاد من الشحنة العاطفية المحمّلة فيها.

أما من حيث الشكل فصيغة (فَعَال) رباعية، والرباعي أقوى من الخماسي، كما أن الصيغة الطويلة تكون أكثر عرضة للبلى الصوتي من خلال القِطْعَة؛ فنهايات الكلمات دائماً خائرة القوى؛ مما يجعلها عرضة للحذف ومن ثم البلى؛ لذا قد تتعرض الكلمات للتضاؤل التدريجي بسبب طولها، فتستبدل بمرادف يكون أقل عدداً[36].

أما (فَعَال) فكونها رباعية زادها قوة وبقاء؛ لأن الكلمات شديدة القصر، كما يقول أولمان: "كثيراً ما تختفي ليحل محلها منافس أكثر أهمية"[37].

وتتميز (فَعَال) بانسجامها مع كثير من القوانين الصرفية فالألف بما فيها من مدٍّ وفتح يسّر النطق بالكلمة وجعلها تتميز بالخفة وهذا يتناسب مع قانون (الجهد الأقل)، ووقوع الألف في وسط الصيغة جعلها أشد ثباتاً وتوازناً، وهذا يحقق قانون (قوة الموقع).

ومن سمات القوة في (عَذَاب) صرفياً صحة حروفها عدا الألف، وكون الألف وسطاً يجعلها وتداً للكلمة أما (العين والذال والباء) فهي أصوات صوامت جَلِدةٌ قويةٌ، فلما كانت العين هي العتبة، والباء هي الغلق، أصبحت الكلمة أقدر على المقاومة والبقاء.

وعلى الرغم مما تثيره لفظة (عذاب) من معنى عاطفي ذاتي يحمل شعوراً قوياً بالشدة والألم فإن قوة الاستدعاء فيها داخل السياق عظيمة، فقد تضافرت مع خمس وعشرين مفردة، وتكررت معها في مائة وستة وسبعين موضعاً. هذا التجمع الدلالي أكسب (عذاب) دلالة جديدة تجلّت فيها بلاغة القرآن الكريم، واكتسبت اللفظة فيه تعظيماً وتهويلاً.

ومع سطوة المتصاحبات مع (عذاب) وتكرارها في القرآن فإن ذلك لم يسلبها شيئاً من تأثيرها، أو قوتها التعبيرية؛ إذ قامت تلك المتصاحبات بالتخصص والتعزيز والتقوية الدائمين للمفردة، فاجتمع فيها التكرار في ذاتها والجِدّة في مصاحبها، هذه الجدة حققت عنصر التأثير والمفاجأة لدى المتلقي، كما حقق التكرار نوعاً من التشاكل اللفظي، ثم جاءت المصاحبة فحققت نوعاً من التشاكل المعنوي؛ فكثيرٌ منها مترادفات أو متواردات من حقل واحد، فكان لهذا التشاكل قوة في حضور اللفظة، وتعزيزٌ لمعناها، وتحصينٌ لها من البلى.

فنجد (عذاب) قد صاحبها (شديد/ كبير/ غليظ/ عظيم)، فهي متواردات متشابهة دلالياً تصف مِقْدَاراً، أما في (عذاب) وقد صاحبها(النار/ الحريق/ السموم/ جهنم) فهي شبه مترادفات للنار، ومن المعالجة الدلالية لشبه المترادفات نجد في (عذاب النار) أن (النار) أصل، أما (الجحيم) و(السموم) و(الحريق) فهي فروعٌ بأوصاف متعددة لها؛ بل هي أشكال متعددة لأصل يجمع بين أشباه من المترادفات، بينها عموم وخصوص.

وما تزال (عذاب) تستخدم وسائل عدة داخل النص القرآني كإعادة الصياغة كما في (شديد العذاب) و(عذاب شديد) و(عذاب أليم/ عذاب شديد) و(عذاب عظيم/ عذاب كبير)؛ فنجد إعادة الصياغة إما بالتقديم وإما بالتأخير كما في الأولى، وإما بالاستبدال الدلالي كما في الثانية، وهذا التنوع الذي أحدثته إعادة الصياغة أشبه ما يكون تطعيماً لغوياً لـ(عذاب) احتفظت فيه بتوهجها، وشدة جذبها الدلالي.

وتُمثِّل رؤوس المركبات محوراً بارزاً في تحديد دلالتها، وهذا الرأس له خصائص عديدة؛ فقد تكون نابعة من هويته كحجمه ولونه واتجاهه وبعده

القرآني، فكان لذلك التشاكل بين (فَعَال وفَعيل)، وذلك الاطراد أثره في تعزيز (عذاب) وقوة حضورها ومهابتها.

وما زلنا في طول النظر في مصفوفة متصاحبات (عذاب)؛ إذ نجد قانوناً آخر يعمل فيها، وهو قانون (الانتقاء)؛ هذا القانون يحكمه الاستعمال من جهة والدلالة الأساسية من جهة أخرى، حيث جاءت على النحو التالي:

1 - نجد أن عذاب في مادة (1) من الجدول قد صاحبت (النار/ الحريق/ الحميم/ السموم/ السعير/ جهنم)، وقد رتبناها من الأدنى إلى الأعظم، فالنار مصدر (الحريق) أما (الحموم/ السموم/ السعير) فمن صفات شدة النار، وكلها من صفات جهنم، فالعلاقة بين (عذاب) ومصاحبها علاقة أن المضاف هو المسبب للمضاف إليه.

فالقرآن هاهنا في (عذاب) ربطها بالوسيلة، وهي (النار) بكل أسمائها وصفاتها، وهي أكثر وسائل العقاب وروداً في القرآن الكريم.

وعلى الرغم من كثرة توارد هذه المترادفات على (عذاب) وتطابقها في مواضع كثيرة فقد تحل (السعير) محل (النار) في مواضع عديدة، لكن لا يمكن أن تتطابقا في جميع السياقات، فلكل مترادف توزيع خاص به.

2 - نجد في مادة (2) من الجدول أن عذاب قد صاحبت (واقع/ محيط/ مستقر/ قريب/ مقيم/ واصب/ الخلد)، وكل تلك الدلالات تصف تأكيد وقوع العذاب ودوام مكانه، فمن (واقع) إلى (محيط) للدلالة على اشتماله ثم (مقيم) للدلالة على ثباته ثم (واصب)؛ أي دائم ومقيم، ثم (الخلد) لتأكيد أبديته، كما نلاحظ أن (عذاب) هاهنا قد صاحبت مجموعة دلالية مختلفة عن الأولى، حددت فيها سببه، أما هاهنا فقد حددت حلوله ومكانه، فالعلاقة مكانية قامت الإضافة بتخصيصها.

3 - في مادة (3) فـ(عذاب)، صاحبت (شديد/ غليظ/ ضِعْف/ كبير/ عظيم)، وهنا ترتبط (عذاب) بمتعلق مختلف عن سابقيه، هذا المتعلق هو الإنسان وعلى وجه الخصوص جسمه، فجاء الوصف لمقدار الإحساس بالألم الواقع على جسمه والتعظيم والتهويل من مقداره، فالعلاقة هاهنا كمية، حددتها الإضافة.

القرآني، فكان لذلك التشاكل بين (فَعَال وفَعيل)، وذلك الاطراد أثره في تعزيز (عذاب) وقوة حضورها ومهابتها.

وما زلنا في طول النظر في مصفوفة متصاحبات (عذاب)؛ إذ نجد قانوناً آخر يعمل فيها، وهو قانون (الانتقاء)؛ هذا القانون يحكمه الاستعمال من جهة والدلالة الأساسية من جهة أخرى، حيث جاءت على النحو التالي:

1 - نجد أن عذاب في مادة (1) من الجدول قد صاحبت (النار/ الحريق/ الحميم/ السموم/ السعير/ جهنم)، وقد رتبناها من الأدنى إلى الأعظم، فالنار مصدر (الحريق) أما (الحموم/ السموم/ السعير) فمن صفات شدة النار، وكلها من صفات جهنم، فالعلاقة بين (عذاب) ومصاحبها علاقة أن المضاف هو المسبب للمضاف إليه.

فالقرآن هاهنا في (عذاب) ربطها بالوسيلة، وهي (النار) بكل أسمائها وصفاتها، وهي أكثر وسائل العقاب وروداً في القرآن الكريم.

وعلى الرغم من كثرة توارد هذه المترادفات على (عذاب) وتطابقها في مواضع كثيرة فقد تحل (السعير) محل (النار) في مواضع عديدة، لكن لا يمكن أن تتطابقا في جميع السياقات، فلكل مترادف توزيع خاص به.

2 - نجد في مادة (2) من الجدول أن عذاب قد صاحبت (واقع/ محيط/ مستقر/ قريب/ مقيم/ واصب/ الخلد)، وكل تلك الدلالات تصف تأكيد وقوع العذاب ودوام مكانه، فمن (واقع) إلى (محيط) للدلالة على اشتماله ثم (مقيم) للدلالة على ثباته ثم (واصب)؛ أي دائم ومقيم، ثم (الخلد) لتأكيد أبديته، كما نلاحظ أن (عذاب) هاهنا قد صاحبت مجموعة دلالية مختلفة عن الأولى، حددت فيها سببه، أما هاهنا فقد حددت حلوله ومكانه، فالعلاقة مكانية قامت الإضافة بتخصيصها.

3 - في مادة (3) فـ(عذاب)، صاحبت (شديد/ غليظ/ ضِعْف/ كبير/ عظيم)، وهنا ترتبط (عذاب) بمتعلق مختلف عن سابقيه، هذا المتعلق هو الإنسان وعلى وجه الخصوص جسمه، فجاء الوصف لمقدار الإحساس بالألم الواقع على جسمه والتعظيم والتهويل من مقداره، فالعلاقة هاهنا كمية، حددتها الإضافة.

كما نلاحظ شبه الترادف بين تلك المتصاحبات؛ مما يؤكد وجود علاقة دلالية بين صفوفها، وبهذا أصبحت (عذاب) رأساً ومركزاً مشعاً للمعنى.

4 - في مادة (4) تعلقت العذاب بمصاحب جديد هو (المهين/ الهون/ الخزي) وهي أشباه مترادفات، ففي سابقتها ارتبطت بالألم الجسدي أما هنا فارتبطت بالألم النفسي.

5 - في مادة (5) تصاحب (عذاب) مع (أليم) و(صعدا) أما أليم فقد استحوذت على ثلثي مادة المتصاحبات في القرآن الكريم؛ إذ وردت في أربعة وستين موضعاً؛ إذ إن العذاب حسي، ويقع على الإنسان من باب العقوبة أو النكال، فوصفه بـ(الأليم) هو الأنسب؛ لأنه يتوافق مع الغاية منه، وهو الإيذاء البدني، أما (صَعَدا) فالمقصود بها أنه شاق لا يُحْتمل، وقد وردت في موضع واحد فقط.

6 - في مادة (6) وردت (عذاب) (عقيم) أي غير قابل للتخفيف أو الحد من أثره، أما (نكير) فهو ما لا يتصور القلب، ولا يعرفه، ويفوق احتماله، وكلاهما من صفات (أليم)؛ فالعلاقة هاهنا عقلية حيث حدد المضاف عدم إدراك العقل لمقدار العذاب، وعدم تصوره لعظمه.

7 - في مادة (8) صاحبت (عذاب) (الله) و(رب) في ثلاثة عشر موضعاً فقط، وهاهنا تعلقت بالمصدر؛ فدلالة عذاب ليست دلالتها ذاتية، فهي هنا متعلقة بمصدر هو (الله)، وهدف (الإنسان) وبوسيلة هي (النار)، وبمكان هو (جهنم)، ومن خلال سياقاتها قل تعلقها بالمصدر إذا ما قورن بتعلقها بالصفات المتعددة لمقدار العذاب ودرجاته، هذا التنوع في (عذاب)، وتعدد متعلقاتها أكثر من المتواردات معها.

8 - في المادة (9) تكتسي (عذاب) حلة جديدة مع (أل) التعريف؛ حيث إن هذه السابقة تدخل على الاسم والصفة (العذاب الشديد)، فيضفي التعريف على التركيب دلالة جديدة تزيد اللفظ قوة وتعزيزاً حيث وردت معرفة في أربعة عشر موضعاً، وإذا ما قارنها بـ(عذاب) المجردة نجد غلبة الثانية على الأولى، وربما ذلك لعموم عذاب وتعدد روابطها.

فمن التحليل السابق لمصفوفة متصاحبات لـ(عذاب) نجد أن التشاكل اللغوي المتراكم فيها ظاهرة تلفت الانتباه بكثرتها وتنوعها، وتعدد روافدها؛ فالموضوع والمحمول بينهما مقوم مشترك، وهو الدلالة على الألم، فظل يتراكم طوال النص القرآني بذاته وبمرادفه، ولعل (العموم) الذي يكتنف (عذاب) أتاح لها هذا التعدد الدلالي؛ مما جعلها تحتاج إلى مصاحب يكشف عن غموضها ويحدد مسارها، هذا الغموض والعموم مكّن الكلمة وعزز من وجودها ونوع من دلالاتها، فزاد ذلك من حاجتها إلى التخصيص بالمصاحبة التي بسطت نفوذها في القرآن الكريم والنص القرآني.

كل ذلك يثبت أن الوحدات الدلالية تعقد روابط معينة بعناصر السياق فتسلك بذلك مسلكاً تضافرياً[40]، تحكمه معايير نحوية ودلالية وتداولية بما يتناسب مع الموقف، أو الجماعة اللغوية، أو المجال اللفظي الذي تتضافر معه الوحدة الدلالية[41].

وهذا يكشف عن دور النحو والسياق في تحديد دلالة الكلمة؛ فهما يتداخلان معاً؛ فتظهر الكلمة بحِلّة جديدة من خلال المصاحبة التي أكدت دورها في التعزيز الدلالي لها، ففي (عذاب) كانت المتجاورات لها أشبه بدرع حصين يحمي أسوارها، ويعزز من وجودها، ويجعلها تكتسب حللاً عدة داخل السياق.

ويتضح من الدلالة التركيبية مبدأ آخر هو الاقتصاد التوفيري؛ إذ تستغل اللغة عموم الدلالة في اللفظة بإضافة تعبير آخر إليها من خلال الوصف أو التخصيص أو التركيب الإضافي، وقد يكون ذا معنى واسع أيضاً لغرض تلبية حاجات التبليغ لديهم بدلاً من زيادة لفظه، وذلك خيرٌ من استحداث مفردة جديدة؛ مما يحقق الاقتصاد اللغوي[42].

وقبل أن نغلق باب الحديث عن (عذاب) المركبة نتلفت إلى المعاجم العربية؛ لنتلمس قانون الانتقاء في (ع.ذ.ب) فيها، فنجد أنها قد تواردت مع عدة مفردات بحسب تعددها الدلالي:

1 - ففي ملمح الطرف: تواردت مع (عذبة: السوط/ الجمل/ النعل/ اللسان/ الرمح/ الرَّحْل/ عذب النوائح/ عذابات الناقة).

2 - وفي ملمح الشدة والاستغراق في السوء جاء: (عَذَبَةُ الحوضِ)، (عَذِبَةُ الطعامِ).

3 - وفي ملمح الشدة والاستغراق في اللَّذة جاء (عَذْب الكلام) (وعذاب الثنايا).

ونظراً لما يكتنف (ع.ذ.ب) من عموم فقد جاءت المركبات الإضافية والوصفية لتخصيص أو تعريف دلالتها، وإن كان ملمح الطرف أشدها ظهوراً في المعجم، بخلاف (عذاب) فنلاحظ اختفاء متصاحباتها من المعاجم العربية، وإن كانت قد أخذت حقها في القرآن الكريم، وعند علماء التفسير، ولعل هناك تفسيراً لذلك، وهو أن القرآن الكريم قد انتقى من كلام العرب في (ع.ذ.ب) ملمحاً واحداً، وهو (الشدة والاستغراق في الألم)، ثم ركَّز عليه، وأكثر من استعماله؛ ليسد به فجوة معجمية، أو ليعبر به عن دلالة جديدة، أو ليكثف المعنى العاطفي فيه، فلم يُستنفد اللفظ في القرآن الكريم في دلالات أخرى قد تضعف منه، أو تبدد طاقته الانفعالية.

وبهذا بلغ القرآن الكريم بدلالة (عذاب) مستوى عميقاً من المعنى لم يكن قد بلغه الاستعمال اللغوي له من قبل؛ بحيث تجاوز في معناه المستوى الأساسي الذي اختزله إدراكنا للفظة[43]، ليصل به إلى مستوى أعلى، وهو كيف يكون العذاب؟ وما مدى شدته ومقداره وأثره؟ وما أبعاده الزمانية والمكانية والكمية والجسدية والنفسية؟ وهذا يجعلنا نؤكد أن للقرآن الكريم قانوناً انتقائياً دلالياً خاصاً يختلف عن الانتقاء الدلالي لدى الجماعة اللغوية[44].

وهذا العمق لم تتناوله المعاجم العربية؛ فاكتسبت لفظة (عذاب) في القرآن معنى جديداً زادها رهبة وتخويفاً، فكان ذلك تطعيماً لدلالتها أكسبها تعزيزاً وقوة تأثير عالية، ثم جاءت المصاحبة لتحيط باللفظ من كل أبعاده وتصوراته؛ مما منح الكلمة حياة جديدة فريدة استطالت اللفظة فيها في شعاب المعنى، فأضحت تلك المركبات توقظ في الذهن صورة الفزع، والألم يحيط بها، وينفذ منها؛ مما يجعلها كفيلة بردع كل ذي عقل رشيد، وهذا منتهى البيان الذي تفاخرت به العرب، ونطق به القرآن الكريم.

مصفوفة الدلالة التركيبية لـ(عذاب)

م	عذاب	م	المتوارد*	التكرار	التركيب	المعنى الجامع
1	عذاب	1	النار	8	إضافي	الوسيلة (وسيلة العذاب وهي حسية تقع على الجسد) (مصاحبة)
		2	الحريق	4	=	= (مصاحبة)
		3	الحميم	2	=	=
		4	السموم	1	=	=
		5	السعير	4	=	= (مصاحبة)
		6	جهنم	4	=	= (مصاحبة)
2	عذاب	7	واقع	1	وصفي	حلول العذاب ولزومه ودوامه
		8	محيط	1	=	=
		9	مستقر	1	=	=
		10	واصب	1	=	=
		11	مقيم	4	=	= (مصاحبة)
		12	الخلد	1	إضافي	=
3	عذاب	13	شديد	9	وصفي	حجم العذاب ومقدار للألم الجسدي منه (مصاحبة)
		14	غليظ	2	=	=
		15	ضِعْف	4	=	= (مصاحبة)
		16	كبير	1	=	=
		17	عظيم	21	=	= (مصاحبة)

تابع/ مصفوفة الدلالة التركيبية لـ(عذاب)

م	عذاب	م	المتوارد*	التكرار	التركيب	المعنى الجامع
4	عذاب	18	الهون	1	إضافي	العذاب النفسي بالذّل والخزي
		19	المهين	3	=	=
		20	الجزي	5	=	= (مصاحبة)
5	عذاب	21	أليم	64	وصفي	العذاب وشدته ومقدار أثره (مصاحبة)
		22	صعدا	1	وصفي	=
6	عذاب	23	عقيم	1	=	احتماله وتصوره
		24	نكر	4	=	= (مصاحبة)
7	عذاب	25	قريب	1	=	علاقة زمانية
8	عذاب	26	الله	4	إضافي	مصدر العذاب (مصاحبة)
		27	ربك	3	=	=
		28	ربهم	4	=	= (مصاحبة)
9	العذاب =	29	الشديد	2	وصفي	وصف مقدار العذاب وكميته
		30	الأكبر	1	=	
		31	الأدنى	1	=	
		32	الضعف	1	=	
ب	العذاب	33	الأليم	7	وصفي	وصف شدة العذاب وأثره (مصاحبة)
ج	العذاب	34	الهون	1	=	وصف ذله النفسي
	=	35	المهين	1	=	= = =
			الإجمالي	176		

ثانياً - التعزيز المعنوي

المبحث الرابع - التعزيز والمعنى الأساسي (الإدراكي)

لعل من الصعوبة بمكان تحديد المعنى الأساسي للمفردة[45]، ولاسيما في مفردة كـ(ع. ذ. ب)؛ حيث يتلبسها الغموض وعدم الشفافية والإبهام في أصلها؛ إذ إن الدلالة الأساسية عامة ترتبط بالإدراك العقلي وتصوره للمعنى، فالكلمة تعد قيداً معرفياً وقوة عقلية تمكِّن الإنسان من النفاذ إلى الواقع[46].

ولكل جماعة لغوية نظرتها إلى ذاك الواقع من خلال صورة العالم الخاص بها؛ إذ تصوغ تلك النظرة في شكل مفردات[47]، وتلك النظرة العقلية البحتة مرتبطة بنظرية المعرفة.

هاهنا نجد أن العقل والواقع هما اللذان يشكِّلان اللغة، فالدلالة تنبع من المستوى الذهني الذي يتلبس بالواقع، ثم يتلفظ بالتجربة، ويعبر عنها لفظياً.

وهذا ما يؤكده بييرجيرو في وصفه لوظيفة اللغة؛ إذ جعل لها وظيفتين:

الأولى: أن تعطي للأشياء دلالتها.

الثانية: أن تعبر عن موقف المتكلم إزاء هذه الأشياء[48].

من خلال تلك الرؤية لعمل العقل في اللغة، وبالنظر إلى مادة (عَذَبَ) في المعجم تتلقَّانا سحابة من الغيوم حول المعنى؛ إذ إن الغموض يتلبس شرح المادة في المعاجم العربية، فهذا ابن فارس يعلن غموضها إذ يقول: "العين، الذال، والباء) أصل صحيح، لكن كلماته لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعها إلى شيء واحد... وهذا يدل على أن اللغة كلها ليست قياساً لكن جُلّها ومعظمها"[49]، وذلك يجعل التأويل فيها صعباً، فعلى الرغم من محاولتنا جمع تفسيرات المادة واستعمالاتها تحت معنى أساسي واحد، فإن ذلك يصبح صعب المنال، فهل نحن أمام أصول اختفت واختلط بعضها مع بعض؛ أصول موجودة أم أنها أصول تداخلت صوتياً فتمازجت دلالتها؟ إذ تمازج الصحيح مع المعتل كما في (عذب) و(عذى)، أو الصحيح مع المضعف كما في (عذب) و(عبّ)

و(عذّ)، أو أصل مع مبدل كما في (عذب) مع (عذف) و(عذم)، فَسَبَّبَ ذلك كله الغموض والإبهام، أو لعلنا أمام فجوة معجمية لم تستطع اللغة سدَّها، فاختلطت فيها بأصول ودلالات أخرى، ولعلي لا أرجح ذلك؛ لأن اللغة العربية لغة عريقة قديمة ناضجة وإن كان ذلك فليكن بسبب قصور في التدوين أو التفسير المعجمي لها.

ومع كل ما قمنا به من جمع للمادة من أغلب المعاجم وكتب المفسرين فإننا لم نستطع أن نحدد المعنى الأساسي لها، إذ لم ينقد معناها لذلك؛ حيث أثبت البحث أنها تدور حول معنيين أصليين، هما:

1 - الامتناع والشدة والاستمرارية التي تؤدي بالشيء إلى غاية؛ هذه الغاية قد تكون إيجابية كما في (ماء عذب: طيب مستساغ)، وقد تكون سلبية كما في (العذاب: الشدة والألم)، وفي (المُعذَّب: العاشق)، و(أعذب: امتنع)، و(عذبته: فطمته عن الأمر)، ويتبين لنا أن الفعل فيه حركة أساسية وأخرى معاكسة لها، الأولى فـ(عَذْب) منتهى اللذة، هي حركة داخلية مرتبطة بالحس والشعور، والأخرى خارجية وهي (عذاب) ولعل قولهم: إن (الشيء إذا جاوز حده انقلب إلى ضده) تنطبق على فعل (عذب)، ففرط الحركة فيها جمع الضدين، وجعل للمعنى ضروباً وصفات لا حصر لها. وذهب ابن فارس في (المجمل) إلى أن الأصل في (العذاب) الضرب، ثم استعير لكل شدة[50]، وذهب ابن منظور إلى أن دلالة (ع. ذ. ب) كلها تدور على الكف والإضراب[51]، ووافقه الفيومي[52] في المصباح، ويرى السمين الحلبي[53] وأبو حيان الأندلسي[54] أن المعنى الجامع لها هو (الاستمرار)، أما الألوسي فرجَّحَ (المنع)[55].

2 - الطرف: طرف الأشياء الحسية كطرف السوط، والنعل، والناقة، واللسان.

أما قضية تداخل الأصول ففي البحث في مادتي: (عَذَم - عَذف) في المعجم نجد أن المادتين اتفقتا على أصل واحد، وهو (بلوغ الشيء)، لاسيما

الطعام والشراب، وهذه تتفق مع (عَذَف)، ومعناها (بلوغ الماء) بعد منع وشدة، أما (عبّ) فهي تدل على الكثرة من الشيء ومعظمه، وهي تتفق مع (عَذَب) في الشدة والبلوغ، أما (عذَّ) فهي مهملة.

ولا يخفى ما أثبته علماء العربية خاصة ابن جني حول تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني؛ لذا فإن الإغراق في التأويل هاهنا قد يقود إلى ضرب من السفسطة الدلالية!

ومما يلاحظ على الدلالة الأساسية في (ع. ذ. ب) اتسامها بالتعميم؛ حيث أتاح لها ذلك أن تطوف في المعجم، فاتسع المعنى فيها، فنشأ التعدد فيه، ولعل ذلك يبرر شيئاً من الغموض الذي يطفو على سطح الكلمة[56].

كما يتبين لنا من (ع. ذ. ب) أنها ليست حدثاً، بل وصفاً لحالة، فهي تعبر عن مستوى للمعنى؛ لذا يأتي دور الدلالة المركبة من خلال المصاحبة في تحديد نوع المستوى أو مقداره أو أثره، ولا يخفى على المحلل اللغوي العوامل الأخرى التي تدخل في تفسيرها وأهمها عامل الزمن؛ فمادة (عذب) تسهم الاستمرارية والاستغراق في بناء دلالاتها، وهذان العاملان يحتاجان إلى فضاءات الزمن، وهناك عوامل أخرى كالحضور والغياب والوضع، والموقف، فـ(ع. ذ. ب) مادة ليست ذات كيان مستقل، بل تقوم دلالتها بغيرها، فهي مرتبطة بمصدر منه، وهدف له، وحضور لهما، وزمان يُقضى فيه الحدث، إلى جانب أنها وصف تراكمي يتطلب وضعاً يقوم فيه مثل المحل والحركة، فـ(عذاب) هاهنا فعل إنجازي[57].

ويبدو لنا من هذه المعالجة الدلالية لـ(عذب) أنها بجذرها تظل عامة مبهمة، وهنا يبرز دور التوليد من الجذر في خلق دلالات جديدة من خلال حروف الزيادة (الاشتقاق الصرفي)، وكذلك السوابق واللواحق، فشكلت تلك الكلمة بعمومها تشجيراً دلالياً أكسبها شيئاً من التخصيص، وجعل للكلمة أسرة ذات أصول وفروع.

المبحث الخامس - التعزيز والمعنى التاريخي

"لا شيء سوى التاريخ يستطيع أن يمنح الكلمات الدقة المطلوبة لفهمها فهماً كاملاً"[58]؛ فاللغة عبر رحلتها الطويلة تمر بتغيُّر مستمر ناتج عن عوامل لغوية وغير لغوية، فاللغة لا تكون ممكنة إلا تاريخياً.

فظاهر بعض الكلمات يشوبها الالتباس والغموض، ولا تتضح دلالتها إلا مع بنيتها العميقة؛ أي بالرجوع إلى سيرة الكلمة وتاريخها.

ولو نظرنا إلى التطور التاريخي لدلالة (عذب) في المعاجم العربية لوجدنا أنها مرت بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: (عذب: منتهى الشدة في الاستغراق في الشيء لذةً وألماً)، و(عَذَب الشيء: طرفه)؛ حيث جاءت قديماً بهذه المعاني كلها (الخليل)[59]، ثم توسّعوا فيها على النحو التالي:

1 - العذبة: ما يخرج من أثر الولد من الرحم.

2 - ثم أطلقت (العَذَابة) على الرحم نفسه من باب المجاز المرسل.

3 - العَذَبة: الطحلب والقذى على سطح الماء.

4 - عَذَبُ النواتج: المآلي التي تشدها النائحة على رأسها (الخليل وابن دريد)[60] إما لعلاقة (الطرف) وإما لعلاقة (المنع والحرمان وألم الفقد).

المرحلة الثانية: تطور المعنى في الملمح الأول حيث أطلق (عَذَبَ) على الطيب المستساغ من الطعام والشراب، و(العَذُوب) الممتنع عن الطعام، وهنا توسع قائم على الشبه الوظيفي بين الحاجة للشراب والحاجة للطعام (ابن دريد)، وتوسعوا في ملمح اللذة في (الأعذبان) وهما الريق والخمر حملاً على اللذة (ابن دريد)[61]، وفي ملمح الطرف في (عذابات الناقة: قوائمها) فهي أطرافها.

المرحلة الثالثة: تطور ملمح (المنع) والفطم فسموا العقوبة (عذاب) (الجوهري) أما التطور في ملمح اللذة فسموا كريم الأخلاق بـ(العُذْبِيّ) لطيب خلقه، حملاً على الماء الطيب المستساغ (الجوهري)[62]، (والعَذَبة: الغصن) فهو توسع في ملمح (الطرف) فالغصن: طرف الشجرة.

المرحلة الرابعة: تطور ملمح (المنع) لما فيه من شدة، فنقل إلى الضرب، (ابن فارس)، ثم تطور وسُمِّيَ المحبوس بـ(المعذب) حملاً على المضروب والجامع لهما الألم والشدة (ابن فارس)، ثم سموا كل شدة (عذاب) (ابن فارس)[63].

المرحلة الخامسة: التوسع في ملمح (الطرف) فقالوا عَذَبة اللسان: طرفه، و(العَذِبة) أردأ ما يخرج من الطعام، فيرمى به للعلاقة بين طرف الشيء وبقاياه، ثم توسعوا، فأطلقوا العذاب على ما لا حس له، وعلى كل مشقة، فسموا (الجوع) عذاباً، وكذلك الحبس، وتوسعوا في (الأعذبان): الطعام والنكاح، و(عَذْبُ اللسان: حلو الحديث) و(عِذاب الثنايا)، وتوسعوا في الاشتقاق منه فقالوا: (اعْذَوْذَبَ) أي ازداد حلاوة و"العَذِبون: أي العذاب الذي لا يرفع"[64].

ونلاحظ هاهنا كثرة التوليد والاشتقاق، كما نلاحظ فعل الانزياح في الكلمة عبر تاريخها حيث يبرز المعنى الاستعاري، ويتراجع خلفه المعنى الأساسي، ليس لغرض الاستبدال بقدر ما يراد به التفاعل العقلي مع المفردة[65].

ونستنتج من هذا العرض ما يلي:

أولاً – أن (عَذَبَ) كانت تطلق على ثلاثة معانٍ، هي:

أ – منتهى الاستغراق في اللذة (الطيب المستساغ).

ب – منتهى الاستغراق في الألم (المنع).

ج – منتهى الشيء (طرفه).

وقد توسّع كل ملمح من هذه الثلاثة:

أ – فـ(الطيب المستساغ) توسع ليطلق على الماء، والطعام، والشراب، وحسن الحديث، وحسن الخلق، وحسن المبسم.

ب – الامتناع والشدة توسعوا فيهما سلباً؛ فكان للمنع عن الشرب، ثم للمنع عن الأكل، ثم الحبس، ثم الجوع، ثم أُطلق على كل شدة.

ج – الطرف توسعوا فيه، وأطلقوه على كل نهاية كطرف السوط، ثم نقلوا المعنى وأطلقوه على الرديء والسيئ كالطعام والماء المُنْتِن.

ثانياً – أن معنى المادة كان حسياً، ثم توسع فيه ليطلق على المجردات كالعقوبة، وحلو الحديث، وحسن الخلق، فكل متعة ولذة معنوية سميت (عَذْبة)، وكل ألم وشدة سُمي (عذاباً).

ثالثاً – أن مادة (عذب) هي وصف يتسم بالعمومية وعدم التحديد، إلى جانب التوسع الدلالي والمجازي فيها؛ كل ذلك جعل الكلمة تبسط أشرعتها داخل المعجم؛ فالتعميم منح الكلمة حق تواردها في عدد من الحقول؛ إذ جاءت في حقل الإنسان، والحيوان، والجماد، وحقل المجردات، والأحداث، فأسهم في تعزيز مكانتها داخل اللغة؛ فلم تكن (عذب) مجرد مفردة، بل شكلت لها أسرة تفرعت في جميع جوانب حياة الجماعة وثقافتها ثم معجمها، وهذا التعزيز والانتشار أسهم في بقائها وطول عمرها، ثم جاء القرآن، وشحن دلالاتها في (عذاب)، وركزه في ملمح واحد هو (الألم والشدة)، فكثف منه، وبالغ فيه، وحمله دلالة مضاعفة حتى وصل بالمعنى منتهى غايته، فأصبح القرآن متفرداً بهذا المعنى، إذ لم نجد لها مرادفاً في القرآن الكريم؛ فالترادف يسهم في التضاؤل التدريجي للمفردة، فلما قاربت على التفرُّد بالألم زاد انتشارها في القرآن الكريم، وكثّفت وجودها فيه للتعبير عن العقوبة والألم؛ مفردة ومركبة.

المبحث السادس - التعزيز والمعنى الاجتماعي

بما أن الكلام نشاط تفاعلي مشترك، فإن المعنى الاجتماعي جزء ثابت من الدلالة المعجمية للفظ، فحينما يُستخدم اللفظ للتعبير عن علاقات اجتماعية فإن استعماله ينقاد لقواعد خاصة لتطبيق التفاعل الاجتماعي[66].

ويضاف إلى ذلك عوامل أخرى تتحكم في المعنى الاجتماعي أهمها: الظروف المحيطة، والموقف، والأثر، والاستجابة، والمناسبة[67].

ومما يجب أن نؤكده أن المعنى الأساسي موزّع بين جميع أفراد المجتمع، أما المعنى الاجتماعي فليس كذلك، وهنا يبرز دور الثقافة في تشكيله.

كما أن هناك خصائص دلالية لا تنتمي إلى المعنى اللغوي، بل إلى فكر الجماعة كالاستكشاف والتأويل والربط؛ فهي ترتبط بالتداوليات[68].

وبالنظر إلى معاني (عَذَب)، وقبل أن نلج في دلالته الاجتماعية، يتضح من تتبعه أنه وصف اتصالي ينبع من فعل الجماعة، وعلى الرغم من ذلك كان لها دور في إضفاء بُعد اجتماعي آخر عليه.

ويقر علماء الدلالة أن هناك ثلاث صور أساسية للعلاقات الاجتماعية تتعامل بها الجماعة مع اللفظ عندما يكتسي دلالة جديدة:

1 - (التعاون)؛ حيث يُسمح للفظ أن يسلك طريقه داخل المجموعة اللغوية، ثم يدخل في جسد اللغة.

2 - الامتثال لرأي الخبراء اللغويين والإذعان لهم.

3 - الصراع والاختلاف.

والسلوك اللغوي الخاص يتبنى طرقاً جديدة لاستعمال المفردة وشيوعها[69]، وهذا كله يؤكد ما ذكرناه أن المعنى الاجتماعي للمفردة هو جزء ثابت من المعنى المعجمي.

ولو أضفينا كل ما سبق على دلالة (ع. ذ. ب) ودور الجماعة في توسيع دلالاتها الاجتماعية فإننا لابد أن نؤكد أن معناها الأساسي حصر في معنيين رئيسين:

الأول: الشدة والاستغراق (لذةً وألماً).

الثاني: الطرف.

وعلى الرغم من أن المعنى الأساسي يكاد يكون متوزعاً بين جميع أفراد المجتمع فإنهم متفاوتون في استعمال كل ملامحه من جانب، وفي تفسيره وفهمه من جانب آخر، لذا تتفاوت جوانب التوسع فيه اجتماعياً.

فمثلاً في العربية جُمِع المعجم من قبائل عربية عديدة، ونظراً للبعد التاريخي للدلالة يصعب تحديد القبيلة التي طورت ملمحاً دون آخر، فيحتمل أن يكون التوسع في ملمح (الطرف) عند قبيلة معينة، والتوسع في ملمح (الشدة) عند أخرى - مثلاً - أو قد يكون كل توسع حدث في مرحلة تاريخية مختلفة عن

الأخرى، وهنا تكمن صعوبة البحث الدلالي فهويَتَقـلَّبُ في ضروب من التأويل.

وبالعودة إلى (عذب) نجد أن الدلالة الاجتماعية قد جاءت على النحو التالي:

أولاً - التوسع في ملمح (الشدة والمنع)

وفيه جانبان: إيجابي وسلبي؛ أما السَّلبُ (فهو السوء) في المنع والشدة والاستغراق في الألم، وجاء فيه:

1 - المُعذّب: وهو العاشق؛ حيث توسعوا في المنع الحسي من الأكل والشرب إلى المنع النفسي.

2 - عذب النوائح: المآلي، وهي خرقة تشدها النائحة على رأسها؛ إذ توسعوا فيها من معنى (المنع والشدة)، فالموت جامع لهما معاً، ولعلها تطور من (الطرف) فخرقة النائحة لها طرف كما سموا (علّاقة الرمح) و(طرف اللسان): عَذَبة؛ إلا أني أرجح المعنى الأول.

3 - العذاب: أطلق في المعنى الأساسي على المنع من الشرب، ثم الأكل، ثم توسعوا فيه، فأطلقوه على الضرب، والجوع، والحبس، ثم توسعوا، فأطلقوه على كل شدة ومشقة.

* أما الإيجاب (المدح): فهو الشدة والاستغراق في لذَّة الشيء (طيب، حلو، مستساغ):

1 - امرأة عذبة الريق: سائغته.

2 - العُذْبِي: كريم الأخلاق.

3 - عذب اللسان: حلو الحديث.

4 - عِذَاب الثنايا: للدلالة على جمال المبسم.

ويتبيّن لنا هاهنا الدلالة الاجتماعية عن طريق الانتقال كما في (الريق)

و(الثنايا) أو عن طريق الاستعارة؛ حيث نقلوا المعنى من الدلالة الحسية إلى العقلية (المجردة)، كما في (عذب اللسان) و(العُذْبِيّ).

ثانياً - التوسع في ملمح (الطرف)

- **العَذَابة**: وهي (الرحم)، وقد حدث فيها تطور دلالي؛ إذ كانوا يطلقون على ما يخرج من أثر الولد من الرحم (العَذَب)، ونظراً لعلاقة المكانية بينهما سموا الرحم (عَذَابة)، فهو من المجاز المرسل، وهنا نلحظ الحشو الدلالي لـ(عذب)؛ إذ إن متطلبات التبليغ تقتضي أن يكون المعنى محشواً دائماً.

وقد يكون هذا توسعاً من الملمح الأول (الشدة)؛ لأن الولادة شدة، إلا أني أرجح التفسير السابق؛ لارتباطها في المعجم بـ(عَذَب) الدالة على ما يخرج على أثر الولد من الرحم، ويمكن أن يقال أيضاً إنها من الطرف والانتهاء، ونظراً للغموض الذي يكتنف اللفظة تبقى كل تلك التفسيرات احتمالات يقبلها المعنى الأساسي.

ويتضح هاهنا دور الجماعة اللغوية في تغير المعنى، وفاعلية اللغة مع هذا التغير، وأثر الثقافة والفكر في تطورها وشحنها وظيفياً بدلالات جديدة، فاللغة سلوك اجتماعي[70]؛ حيث يتبين هاهنا التأثير الحاسم الذي تمارسه البيئة الاجتماعية على البنية اللغوية.

وإذا التفتنا إلى مادة (عذب) في القرآن الكريم نجد أنه قد استعملها في صيغتين متضادتين (عذاب) و(عذب)، كما أنه استعملها بحلتها الجديدة التي اكتست بها على يد الجماعة اللغوية، فأصبحت المفردة ذات إشعاع دلالي عاطفي أنضجه الاستعمال، وطعَّمته الجماعة بفكرها وثقافتها، فجاء معبراً عن الشدة والاستغراق في الألم في (عذاب)، والشدة والاستغراق في اللذة في (عَذْب) مع فارق عظيم في الاستفاضة؛ إذ نجد أن القرآن استفاض في استخدام (عذاب)، أما (عذب) فلم ترد إلا في موضعين؛ إذ تنحى عنها وهمشها، كما أن القرآن قد خصص (عذاب) فجاءت فيه للدلالة على الألم الجسدي وحده، وفي

الموجودات الحية دون غيرها[71]، وهذا خلاف ما عليه المعجم، وهذا التخصص و التفرد الدلالي في القرآن الكريم تنبه له الجاحظ، إذ يقول:

"وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك؛ ألا ترى أن الله - تبارك وتعالى - لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقِع والعجز الظاهر؟!.... وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام؟! والعامة وأكثر الخاصة لا يَفْصِلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث... ولا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال.... والعامة ربما استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة، وتَدَعُ ما هو أظهر وأكثر"[72].

وذلك يؤكد أن القرآن الكريم يستدعي المعاني الدقيقة البارعة في تجديد ما عفا من لطائف اللفظ وطرائفه، لذا شاع استخدام (ع.ذ.ب) في القرآن؛ ولكن بملمح دلالي جديد، وهذا يثبت أن القرآن الكريم له مسلكه الخاص به في الانتقاء الدلالي لمفرداته، وذلك من دواعي بلاغته وإعجازه البياني.

المبحث السابع - التعزيز والمعنى الموسوعي

أثبت البحث الدلالي أن المعنى الأساسي لا يغطي إلا جزءاً يسيراً من تصور المعنى، حيث يبقى الدور للسياق والموقف فيه[73]، ويرى جاكندوف أن المعنى الموسوعي يتضمن كل التداعيات الشخصية المتعلقة بالكلمة، كما يرى أن له خصائص دلالية لا تنتمي إلى الدلالة اللغوية؛ بل ترتبط بالمنطق والاستكشاف وبالعالم الواقعي، وهي جميعها ذات منحى تداولي[74].

فكلما تغيرت ثقافة المجتمع وخبراته ومعارفه، تغير المعنى، وتوسعت الجماعة فيه مع ضمان الملاءمة بين الوحدة المعجمية الأساسية ومتطلبات الاتصال الاجتماعي[75].

وهاهنا تعمل قوانين التطور الدلالي في المفردة فيطلق سراح المعنى من الصلات الدلالية التي تربطه منطقياً أو عرفياً؛ إذ يرتبط بصلات جديدة تعطيه

أبعاداً غير متناهية ومن ثم يتحقق الانزياح، فيأتي المعنى غير مطابق للمنظور الحسي أو العقلي له[76].

وكما تبين لنا سابقاً أن سمات (ع.ذ.ب) هي:

السمة الأولى: منتهى الاستغراق في الألم.

السمة الثانية: منتهى الاستغراق في اللذة.

السمة الثالثة: منتهى الأشياء.

وسنعرض فيما يلي المعنى الموسوعي لهذه السمات الثلاث، وأثر فعل قوانين التطور الدلالي فيها:

أولاً - السمة الأولى: منتهى الاستغراق في الألم:

والمعنى القديم لها: امتناع الحيوان عن الأكل لشدة عطشه.

1 - توسعوا فيها إلى امتناع الإنسان عن الأكل لشدة عطشه.

2 - توسعوا فيه إلى الامتناع عن الأكل والشرب معاً.

3 - ثم توسعوا فيها إلى الامتناع كله عن الأشياء الحسية والمعنوية (أعذب: كف وانتهى وامتنع وأضرب).

4 - توسعوا في (الامتناع) بالإرادة إلى (المنع) بالإكراه والقهر حسياً ومعنوياً:

أ - المعذب: العاشق الممنوع كرهاً.

ب - العذاب: الحبس، والجوع، والضرب.

5 - توسعوا في (الاستغراق في الألم)، فسموا كل ألم شديد بالقهر (عذاب) والعذاب: النكال.

6 - ذكرنا سابقاً أن الجماعة اللغوية متفاوتة في تعاملها الاجتماعي والفكري مع السمات الدلالية للمعنى الأساسي، فقد تتوسع في سمة دون أخرى، فلو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنه استعمل (العذاب) للدلالة على الألم عقاباً، وقد يطلق (العذاب) في غير القرآن على الألم كله عقاباً أو ابتلاءً.

وهذا يؤكد ما ذكره فندريس من أن: "حركة التغيرات اللغوية لا تسير

دائماً في خط مستقيم؛ بل تسير في كل الاتجاهات حول المعنى الأساسي، وكل واحد من المعاني الثانوية يمكن أن يكون بدوره مركزاً جديداً للإشعاع المعنوي "[77].

السمة الثانية – منتهى الاستغراق في اللذة:

- ويطلق (الماء العَذْب) الطيب المستساغ (خاص بالشراب) وقد جاء به القرآن ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ [فاطر: 12].
- ثم توسعوا فيه، فأطلقوا (العَذْب) على كل طيب مستساغ من شراب وطعام.
- ثم توسعوا فيه عن طريق المجاز، فقالوا (العُذْبي) حسن الخُلُق، (وعَذْب الحديث) حلوه، وهنا دلالة معنوية.
- ثم توسعوا فيه مجازاً، وقالوا (عِذاب الثنايا)، وهي دلالة حسية، فاللذة ها هنا بصرية، توسعاً في (لذة الطعم).
- ثم توسعوا فيها، وأطلقوا على كل لذة (عَذْب) كالنكاح، والريق، والخمر والطعام.

السمة الثالثة – منتهى الأشياء:

ونجد هاهنا أن الدلالة قد تخلت عن سمة من سمات اللفظ، وهي (الاستغراق)، وبقي ملمح (الانتهاء)، ومنتهى الأشياء أطرافها، ثم توسعوا في الطرف إلى انتهاء الأشياء وبقاياها؛ حيث سميت (عَذَبة الشيء: طرفه)، فقالوا في المعجم: طرف كل شيء: عَذَبته، ونلحظ هاهنا أن الطرف جاء محدداً ومحدوداً، وجاء على نوعين:

أ – **طرف محايد**: منتهى طرف اللسان: عذبته، وعَذَبة النَّعْل: طرفه، وكذلك الغصن، وخرقِة النائحة، وخرق الألوية، وأطراف النَّاقة: عَذَبَاتها، وعَذَبَةُ السوطِ: طَرَفُه.

ب – **طرف سلبي**: عَذِبة الطعام: أردأ ما يخرج منه، فيرمى به، وهي بقاياه – كما أشرنا سابقاً – هناك علاقة في المعجم العربي بين (الطرف) و(النهاية) و(بقايا الأشياء).

كما نجد هاهنا علاقة بين (العَذَبة: الطحلب والقذى) وبين (العَذِبة: أردأ الطعام)، وهو السوء والرداءة.

ولعل (الطحلب) توسع في سمة الطرف؛ لأنه لا يظهر على سطح الماء إلا إذا طالت مدة ركود الماء، وفسد، فلم يعد صالحاً للشرب، والجامع بينهما الانتهاء.

وهنا ندرك أثر عمل قوانين التغير بالتحوّل المعجمي داخل المعنى الأساسي، فهي تُنَشِّط اللفظ، وتُثْرِي المعنى، فالمجاز مع كثرة الاستعمال له قد يتحول إلى حقيقة، والتوسع إلى أصل، وذلك بفعل كثرة تكرار للفظة وقدمها، وبهذا تتحول الفروع إلى أصول جديدة تأخذ دورة جديدة في المعنى، وتنصهر الأولى داخل الدلالة المعجمية، وكل ذلك يسهم في زيادة الثروة اللفظية في اللغة ونمائها[78].

ويتنوع فعل قانون التغير بالكلمات؛ فقد تكون المفردة ذات ملمح دلالي عام أو متعدد كما في (عذب)، فقد جاءت لـ(الاستغراق في الألم)، و(الاستغراق في اللذة)، و(الاستغراق في الانتهاء: الطرف)، ومن خلال النظر في المادة داخل المعجم نجد أن الجماعة اللغوية اتخذت عدة وسائل في توسيع الملامح الدلالية الثلاثة، فنجد أن سمة (الاستغراق في الألم) قد امتدت من الحيوان إلى الإنسان، إلى الجماد، ومن الحسي إلى المعنوي، بخلاف سمة (عَذْب: الاستغراق في اللذة) فنجد أن التوليد والاشتقاق فيها لا يتساوى مع السمة السابقة، أما سمة (الطرف) فقد بقيت حسية إلا أنهم توسعوا في مسمياتها، وهنا نلاحظ أن فعل قانون التوسع قد تفاوت من سمة لأخرى في السمات الثلاث.

وهنا يبرز التوسع الدلالي من خلال التعميم عَبْرَ الحقول في تطعيم بنية الحقل الدلالي الأساسية لتكون أكثر إيداعاً وتفاعلاً بطريقة جديدة.

أما في القرآن الكريم فنجد أن السمة البارزة في استخدام مادة (ع. ذ. ب) هي (الاستغراق في الألم)؛ إذ جاءت بهذا المعنى في ثلاثمائة وستة وعشرين

موضعاً، فوردت فعلاً في مائة واثنين وسبعين موضعاً، واسم مفعول (مُعذَّب) في تسعة مواضع، وعلى وزن (عَذَاب) في مائتين وخمسة وأربعين موضعاً، وهذا يؤكد شيوعها في القرآن الكريم، واحتشادها في (عذاب).

أما (عَذَبَ) الدالة على (الاستغراق في اللذة) فلم ترد في القرآن الكريم إلا في موضعين هما ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الفرقان: 53]، [فاطر: 12].

أما السمة الثالثة لـ(ع. ذ. ب) وهي (الاستغراق في الانتهاء: الطرف) فلم ترد مطلقاً في القرآن الكريم، وهذا يؤكد أن القرآن الكريم قد أعاد شحن سمة (الشدة والألم) دون غيرها من ملامح المعنى، حتى كاد يكون هو المعنى الأكثر مركزية فيه.

وذلك يثبت أن المعنى الموسوعي له سلوك لغوي يختلف عن المعنى الأساسي، فهو لا يسعى إلى الإبلاغ أو الإفهام؛ بل يسعى إلى خلق شعور بالتفاهم الاجتماعي[79]؛ لذا يميل إلى إضفاء نوع من الانفعال والعاطفة على اللفظ فيُسْقِط عليه دلالات جديدة لا يعبر عنها المعنى الأساسي؛ إذ تميل أغلب اللغات إلى استخدام لفظ متاح لأغراض جديدة؛ بحيث تحد من ابتداع ألفاظ جديدة لها، وذلك ملمح اقتصادي ممتد في كل اللغات الطبيعية[80].

ولعل عموم مادة (ع. ذ. ب) أتاح لها هذا التعدُّد في سماتها؛ بل والجمع بين المتناقضات فيها كما في (عَذْب) و(عَذَاب)؛ وذلك بسبب الشحن المتكرر للمعنى، والتنوع فيه، فتطفو على سطح الكلمة دلالات دون غيرها، كما في (عذاب) فقد طفت على سطح النص القرآني دون غيرها من دلالات (ع.ذ.ب)، فلعله أراد بهذا الحصر لها أن يحافظ على جزء كبير من رهبتها؛ إذ لو عدَّد من معانيها ولاسيما ضدها (عَذَب) التي تدل على (اللذة)، لأذهب ذلك الشحنة العاطفية بما فيها من ترويع وترهيب حُمِّلت به الكلمة مفردة ومركبة[81].

ولعلنا بعد هذا العرض ندرك أثر الثقافة والفكر والمجتمع، وتداعياتها في توسع المعنى، على الرغم من أن الإغراق في التداولية وتأويلاتها قد لا يصل بنا إلى قانون يحكم الدلالة[82].

وبعد هذه المحاولة في فصل المعنى الموسوعي عن المعنى الأساسي فإنه يكاد يكون فصلاً منهجياً، فهما كصنوي جواد يرسمان معاً خريطة المعنى "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، ودقة اللفظ فيهما يكون إظهار المعنى، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان بعينه" (83).

خاتمة البحث ونتائجه

لقد أقيم هذا البحث على منهج تطبيقي ووصفي تحليلي يعتمد على فرضية دلالية هي: أن هناك بعض الكلمات يكتب لها طول العمر، وتكافح البلى؛ إذ تتسم ببعض مظاهر القوة والتعزيز داخلياً أو خارجياً، وقد كشفت تطبيقات البحث على مفردة (عذاب) بعضاً من مظاهر هذا التعزيز، وهي:

أولاً – المظهر الأول: التعزيز الصوتي

حيث تعزز الكلمة بخصائص صوتية فاعلة ومؤثرة، منها:

1 – قوتها صفةً ومخرجاً.

2 – امتداد مخرجها عبر جهاز النطق.

3 – تباعد مخارج حروفها.

ثانياً – المظهر الثاني: التعزيز الصرفي

حيث تعزز الكلمة صرفياً بخصائص، منها:

1 – اعتدال الوزن طولاً وقصراً، فالوزن الثلاثي قصير؛ لذا فهو عرضة للاختفاء، أما الخماسي فلطوله يكون عرضة للبلى والقطعة، وعليه فأشدها اعتدالاً الرباعي، فهو أعزها.

2 – انسجام الوزن مع بعض القوانين الصوتية التي تمنح الكلمة التعزيز والقوة؛ كقانون المد، وقانون الفتح، وقانون الموقعية، وقانون الصحة ضد الاعتدال.

ثالثاً - المظهر الثالث: التعزيز التركيبي بالاقتران

وذلك من خلال المتواردات أو المتصاحبات، فإذا عُضِّدت الكلمة الشائعة بكلمة أخرى جديدة قوَّت من وجودها، ولفتت الانتباه لها، وشدت ذهن المتلقي إليها؛ إذ إن تكرار الكلمة يجعلها عرضة للتضاؤل التدريجي الذي ينتهي بالبلى، إلا أن تلك اللاحقة الجديدة تنعش الكلمة، وتطعمها ضد الهجر، فتُحْييها جسداً وروحاً.

المظهر الرابع - التعزيز الدلالي بالتعميم

فالكلمة ذات المعنى العام واسعة الدلالة؛ لذا يأتي دور التوليد والاشتقاق والسوابق واللّواحق والمركبات والسياق، فيجعل الكلمة أشد ثباتاً حيث إن هذا التنوع فيها يضرب أوتادها داخل المعجم، ويجعلها تطوف في حقول ومجالات عدة، كما أن التفاعل العقلي للجماعة مع المعنى الأساسي يجعل الكلمة العامة تتشكل وتتلون عبر رحلتها الطويلة، كذلك قد ينتابها في بعض مراحلها التركيز على ملمح دون ملمح من دلالتها، فتصيبها المبالغة والتكثيف والانزياح، وهذا يؤكد أن المعنى الموسوعي له سلوكه الخاص، وهنا يظهر أثر التداولية وفِعْلُها؛ إذ تخرج اللغة فيها من وظيفة الاتصال البحت، وتتجلى في صورة تكون فيها أكثر تمرداً وظهوراً.

وخلاصة القول: إن فرضية (التعزيز الدلالي) فرضية تحتاج إلى التطبيق على مفردات عدة حتى نستطيع أن نحقق لها الشرعية، فلعل هذه الفرضية تفضي إلى قانون دلالي يسهم في كشف غموض المعنى وجلاء دروبه ومسالكه من جانب، كما تسهم من جانب آخر في استخدام قوانينه في كيف نسمي الأشياء وكيف نحفظ تلك الأسماء من الهجر والبلى؟ وحتى نصل إلى ذلك لابد أن ندرك أن التعامل مع دلالة اللغة هو تعامل مع الذكاء، والوعي، والذات، والتفاعل الاجتماعي والثقافي، وإلا فلن نفهم المعنى[84].

(ملحق) دلالة عذاب في المعاجم العربية

م	المفردة	دلالتها	1	2	3	4	5	6	7	8
			الخليل	ابن دريد	الأزهري	الجوهري	ابن فارس	ابن سيده	ابن منظور	الفيروزآبادي
1	عذب الماء	طاب	✓		✓	✓	✓		✓	
2	أعذبته	أسقيته ماء عذباً	✓		✓	✓		✓	✓	
3	عَذُب الحمار	امتنع عن الأكل لشدة عطشه	✓				✓	✓	✓	✓
4	عَذَبته وأعذبته	منعته عن الشيء	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
5	المعذب	العاشق	✓						✓	
6	العَذَبة	طرف السوط والنحل	✓		✓	✓	✓		✓	
7	عذبت الرجل وأعذبته	فطمته عن الأسر	✓			✓		✓	✓	✓
8	الاسم العذاب		✓						✓	
9	العَذَبة	قضيب البعير: أسلته	✓		✓		✓		✓	✓
10	العُذَيب	ماء لبني تميم	✓	✓	✓	✓			✓	
11	العَذُوب والعاذِي	الذي ليس بينه وبين السماء ستر	✓		✓		✓	✓	✓	✓

م	المفردة	دلالتها	1	2	3	4	5	6	7	8
			الخليل	ابن دريد	الأزهري	الجوهري	ابن فارس	ابن سيده	ابن منظور	الفيروزآبادي
12	عذب الماء وغيره	استساغ		✓	✓			✓	✓	✓
13	العَذُبُ	صَد المالح وكل مسَاغ من طعام وشراب		✓					✓	
14	عَذَاب	جمعه								
15	عَذَبة الرمح	الخرقة التي تشد على رأس الرمح		✓	✓				✓	
16	عَذَبة اللسان	طَرَفُه		✓	✓	✓			✓	
17	عذبت الرجل تعذيباً والاسم العذاب	– – –		✓						
18	بات الرجل عاذباً وعَذُوباً	إذا كان ممتنعاً عن النوم جائعاً		✓		✓				
19	الأعذبان	الريق والخمر		✓				✓	✓	✓
20	جمع عَذب عذاب	– –		✓						
21	العَذَبة	الخيط الذي يرفع به الميزان			✓	✓			✓	✓
22	العَذَبة	ما يخرج من أثر الولد من الرحم			✓				✓	✓

م	المفردة	دلالتها	1	2	3	4	5	6	7	8
			الخليل	ابن دريد	الأزهري	الجوهري	ابن فارس	ابن سيده	ابن منظور	الفيروزآبادي
23	العَذَابة	الرحم			✓				✓	
24	استعذبت عنك	انتهيت			✓			✓		
25	العَذَبة	الطحلب			✓					
26	العذوب الغُادب	الفرس إذا بات لم يأكل ولم يشرب ممتنعاً			✓	✓	✓	✓	✓	
27	عَذَبة الحوض	عَرْمَصته القذاءة والطحلب			✓	✓		✓	✓	✓
28	العَذَبة	الغضن			✓	✓		✓	✓	
29	عَذَب النوائح	المآلي (حزقة)			✓				✓	✓
30	عَذُبات الناقة	قوائمها			✓				✓	
31	عَذَبة السوط	علّاقته							✓	
32	عذبة الرحل	الجلدة المعلقة خلفه							✓	✓
33	العذاب	العقوبة				✓				
34	العُذَابي	الكريم الأخلاق				✓				
35	العذاب	الضرب					✓			

م	المفردة	دلالتها	1	2	3	4	5	6	7	8
			الخليل	ابن دريد	الأزهري	الجوهري	ابن فارس	ابن سيده	ابن منظور	الفيروزآبادي
36	الأعذبان	النكاح والطعام						✓		✓
37	عذب اللسان	شبه بالعذب من الماء						✓		
38	العَذِبة	أردأ ما يخرج من الطعام فيرمى به					✓		✓	✓
39	العاذِب	جميع الحيوان الذي لا يطعم شيئاً						✓	✓	
40	العذاب	النكال							✓	✓
41	اعذوذب	احلولى						✓		
42	العَذِب	ما أحاط بالدَّيْرة							✓	
43	العذاب	الجوع							✓	
44	العِذبون	لا يرفع عنه العذاب							✓	
45	عَذَبة كل شيء	طرفه								✓
46	عاذب	موضع								✓
47	عذبان	موضع								✓
48	عُذَيب	ماء وموضع								✓
49	عُذَيْبة	ماء								✓

م	المفردة	دلالتها	1	2	3	4	5	6	7	8
			الخليل	ابن دريد	الأزهري	الجوهري	ابن فارس	ابن سيده	ابن منظور	الفيروزآبادي
50	عَيذاب	موضع								✓
51	عَذْب	شجر								✓
52	العَذَبة	شجرة تموت البعران								✓
53	الاعتذاب	أن يُسبل للعمامة عذبتين خلفها								✓
54	العذبات	فرس ويوم من أيام العرب								✓

الهوامش والمراجع

(1) هناك (عقاب) و(نكال) قد يتواردان مع (عذاب) في القرآن الكريم أما العقاب والعقبى فهو الجزاء بالخير والشر، أما (نكال) فهو عقاب على جرم أكثر من فعله، قصد صرف غيره عن أن يقوم بمثله، وبهذا فإن دلالتهما غير مترادفة مع (عذاب)، وقد جاءت (نكال) في خمسة مواضع في القرآن فقط، وجاءت (عقاب) في عشرين موضعاً من القرآن الكريم مخصصة بالشر مثل (عذاب)، والذي تثبت دلالته أن (عذاب) أخص وأشد من (عقاب)، أما (نكال) فهي أذى أشد من الذنب، وبما أن الجزاء في الإسلام من جنس العمل، فقد قل استعمالها خصوصاً في التشريع والأحكام.

(2) لسان العرب (ع. ز. ز).

(3) أولمان، ستيفن: **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: د. كمال بشر، ط1، القاهرة: مكتبة الشباب، 1988م، ص 108.

(4) هناك مصطلح (قوة الفعل) أو التقوية، وهو مصطلح تداولي يعتمد على قوة تأثير الفعل الإنجازية على المتلقي، وله عدة وسائل، منها النبر والتنغيم والتكرار، أما التعزيز فهو يختلف عنه، فهو مصطلح دلالي.

(5) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **العين**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1/ 65، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1403هـ، 4/ 433.

(6) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب: **الرعاية لتجويد القراءة**، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط3، الأردن: دار عمار، 1417هـ، ص 160.

(7) بشر، كمال محمد: **الأصوات العربية**، ط1، القاهرة: مكتبة الشباب، 1987م، ص88.

(8) انظر: مالمبرج، برتيل: **علم الأصوات**، تعريب: عبدالصبور شاهين، القاهرة: مكتبة الشباب، 1987م، ص 110.

(9) انظر: الكتاب 4/ 434، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، 1/ 196.

(10) انظر: الأصوات العربية، ص 121، علم الأصوات، ص 126.

(11) انظر: العين 1/ 65، الكتاب 4/ 433.

(12) انظر: علم الأصوات، ص110.

(13) انظر: الكتاب، 4/ 433.

(14) انظر: الأصوات العربية، ص 119، علم الأصوات، ص122.

(15) انظر: العين 1/ 65، الكتاب: 4/ 434، ابن دريد، محمد بن الحسن: **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1/ 7.

(16) انظر: الأصوات العربية، ص 19.

(17) انظر: الكتاب، 4/ 433، الأصوات اللغوية، ص 155، علم الأصوات، ص 110.

(18) انظر: الكتاب، 4/ 434.

(19) انظر: الأصوات العربية، ص 101، علم الأصوات العربية، ص 122.

(20) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1405هـ، 2/ 116.

(21) سر صناعة الإعراب، 1/ 814.

(22) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: **المزهر**، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، بيروت: دار الفكر، 1/ 197.

(23) المزهر، 1/ 193.

(24) انظر: جبل، محمد حسن: **المعنى اللغـــوي**، ط1، القاهرة: مكتبـــة الآداب، 2009م، ص 192.

(25) انظر: لسان العرب (ع. ن. ن).

(26) انظر: يوسف، حسني: **التمثيل الصوتي للمعاني**، ط1، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1418هـ، ص102 – مفتاح، محمد: **تحليل الخطاب الشعري**، ط4، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2005م، ص 175.

(27) بسناسي، سعاد: **التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية**، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، 2012م، ص 52.

(28) الخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، ط1، لبنان: دار الفكر، 1402هـ، ص 65.

(29) مما يلفت الانتباه لفظ (ضيزى) في القرآن الكريم فهو لفظٌ اجتمعت فيه - صفات القوة الصوتية من الجهر والاستعلاء والمد، وعلى الرغم من ذلك لم يستخدم في القرآن إلا مع موضوع واحد (تلك هي قسمة ضيزى) ولعل ذلك للدلالة على عظم الظلم وشدته، فتفرد اللفظ للدلالة على تفرد المعنى، فقد جاء لوصف حالة لغوية انفرادية مبالغ فيها، فجاءت بلفظ شاذ ومعنى شاذ، ووزن نادر هو (فِعْلى) فهو وزن قليل الاستعمال عند العرب، كما لا يخفى عنا تقارب مخارجها بخلاف (عذاب) وكذلك جمودها وقلة التوليد منها، أما (عذاب) فهي مرنة طيّعة، كثيرة الاشتقاق والتوليد والاستعمال، وذلك من دواعي تعزيزها، وهذا يؤكد أن وجود قانون القوة الصوتية ليس كفيلاً وحده بحفظ الكلمة من الهجر والبلى.

(30) انظر: فندريس: **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، القاهرة: 1950م، ص 236

(31) انظر: ابن الحاجب، رضي الدين الإستراباذي: **شرح الشافية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد وآخرون، القاهرة: مطبعة حجازي، 2/ 227.

(32) ابن يعيش، موفق الدين علي: **شرح المفصل**، بيروت: عالم الكتب، 6/ 82.

(33) انظر: شرح الشافية، 2/ 136.

(34) انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 15/ 87.

(35) انظر: السامرائي، فاضل: **معاني الأبنية العربية**، ط1، بغداد: مطبوعات جامعة بغداد، 1401هـ، ص 104

(36) انظر: دور الكلمة في اللغة، ص 108، اللغة، ص 89.

(37) انظر: دور الكلمة في اللغة، ص 210.

(38) غاليم، محمد، **النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة**، ط1، المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال، 2007م، ص 97 - 98.

(39) انظر: اللغة، ص 275.

(40) لكل وحدة دلالية توزيعها الخاص بها فإن ظهرت مع وحدة أخرى في نفس السياق، فهما متكافئتان في التوزيع إما تكافؤاً جزئياً وإما كلياً، وإن لم تظهر معها في السياق نفسه فهما متكاملتان (انظر بتوسع: عبدالواحد، عبدالحميد، **الكلمة في اللسانيات الحديثة**، ط1، صفاقس: قرطاج للنشر والتوزيع، 2007م، ص 151).

(41) انظر: كليماير وآخرون، **أساسيات علم لغة النص**، ترجمة: د. سعيد بحيري، ط1، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2009م، ص 179.

(42) انظر: مارتينيه، أندريه، **مبادئ اللسانيات العامة**، ترجمة: أحمد الحمو، ط4، دمشق: المطبعة الجديدة، 1404م، ص 180.

(43) انظر: لوبنر، سبستيان: **علم الدلالة**، ترجمة: د. سعيد بحيري، ط1، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 201م، ص 437.

(44) لقد كان للقرآن الكريم انتقاؤه النحوي والصرفي والصوتي الخاص به؛ مما أثار حفيظة النحويين وجعلهم يرفضون بعض القراءات الصحيحة بل والمتواترة كما في قوله تعالى: (إن هذان لساحران) و (معائش) و(اقتده).

(45) اختلف العلماء حول تعريف المعنى، فهناك التعريف الواقعي: وهو أنه علامات لغوية تكمن في علاقتها بالأشياء في العالم، والتعريف الإدراكي: أنه يكمن في عزوه لتمثيلات وتصورات عقلية، أما التعريف الاستعمالي: فهو يكمن في تفاعل البشر المتواصلين واستعمالهم للغة، وهذه التعريفات الثلاثة متناغمة بعضها مع بعض (انظر بتوسع: بحيري، سعيد حسن: **مبادئ ومسارات في الدرس اللغـــوي الحديث**، ط1، القاهرة: مكتبة زهراء الشـــرق، 2009م، ص 115).

(46) انظر: أساسيات علم لغة النص، ص 33.

(47) انظر: أساسيات علم لغة النص، 33.

(48) انظر: عياشي، منذر: **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، ط1، سوريا: مركز الإنماء الحضاري، 2002م، ص 69.

(49) ابن فارس، أبو الحسن بن أحمد: **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط3، مصر: مكتبة الخانجي، 1402هـ، (ع.ذ.ب).

(50) ابن فارس، أبو الحسن بن أحمد: **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير سلطان، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، (ع. ذ.ب).

(51) لسان العرب (ع.ذ.ب).

(52) الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير**، بيروت: مكتبة لبنان، (ع.ذ.ب).

(53) الحلبي، السمين: **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط1، دمشق: دار القلم، 1408هـ، 1/ 116.

(54) الأندلسي، أبوحيان: **تفسير البحر المحيط**، ط2، بيروت: دار الفكر، 1403هـ، 1/ 172.

(55) الألوسي، محمد بن عبدالله: **روح المعاني**، بيروت: دار الفكر، 1403هـ، 1/ 137.

(56) انظر: خليل، حلمي: **العربية والغموض**، ط1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988م، ص 28.

(57) انظر: جحفة، عبدالمجيد، **المدخل إلى الدلالة الحديثة**، ط1، المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2000م، ص 103.

(58) جيرارتس، ديرك: **نظريات علم الدلالة المعجمي**، ترجمة: فاطمة الشهري وآخرين،

مراجعة: د. محمد العبد، ط1، القاهرة: الدار الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 1434هـ، ص 34

(59) العين (ع.ذ.ب).

(60) العين، الجمهرة (ع.ذ.ب).

(61) الجمهرة (ع.ذ.ب).

(62) الصحاح (ع.ذ.ب).

(63) مجمل اللغة (ع.ذ.ب).

(64) القاموس المحيط، لسان العرب (ع.ذ.ب).

(65) انظر: ويس، أحمد محمد: **الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية**، ط1، سوريا: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2005م، ص 115.

(66) انظر: علم الدلالة، ص 89

(67) انظر: حسان، تمام: **اللغة بين المعيارية والوصفية**، ط4، القاهرة: عالم الكتب، 1421هـ، ص 123.
المعنى اللغوي، ص 185.

(68) انظر: جاكندوف وشوميسكي وفندلر، **دلالة اللغة وتصميمها**، ترجمة: محمد غاليم وآخرون، ط1، المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2007م، ص 25.

(69) انظر: نظريات علم الدلالة المعجمي، ص 173.

(70) انظر: عبدالعزيز، محمد حسن: **علم اللغة الاجتماعي**، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2009م، ص 11.

(71) لم يقع (عذاب) على الحيوان في القرآن الكريم إلا في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: 20-21].

(72) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، ط7، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ، 1/ 20.

(73) انظر: مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث، ص 119.

(74) انظر: دلالة اللغة وتصميمها، ص 25.

(75) انظر: أساسيات علم النص، ص 159.

(76) انظر: المعتوق، أحمد محمد: **اللغة العليا**، ط1، المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006م، ص 75.

(77) اللغة، ص 454.

(78) انظر: أساسيات علم لغة النص، ص 178.

(79) انظر: لاينز، جون، **علم الدلالة**، ترجمة: مجيد الماشطة، البصرة: مطبعة جامعة البصرة، 1980م، ص 32.

(80) انظر: نظريات علم الدلالة المعجمي، ص 121.

(81) على الرغم من كل ما ذكرنا عن الوسائل اللغوية في تعزيز المعنى، فإن هناك وسائل غير لغوية كفيلة بجعل المفردة في بؤرة الاستعمال وهو التعزيز التداولي، وذلك عندما تعبِّر المفردة عن معنى أساسي أو أصيل لدى الجماعة تجبرها على تداوله، فـ(عذاب) على الرغم من تعزيزها اللغوي فيها، مرتبطة بحقل دلالي أصيل ومهم لدى الإنسان وهو المشاعر، والتعبير عن (المشاعر) عدها علماء النفس من الحاجات الأساسية عند الإنسان، لذا تكون ألفاظ هذا الحقل موجودة ومستمرة ومستقرة في جسد اللغة ما دام الإنسان نفسه موجوداً، فاكتسبت المفردة ههنا تعزيزاً آخر هو التعزيز التداولي.

(82) انظر: دلالة اللغة وتصميمها، ص 26.

(83) انظر: البيان والتبيين، 1/ 75.

(84) انظر: دلالة اللغة وتصميمها، ص 12.

arab journal for the humanities

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

University of kuwait

Academic

Publication Council

ISSN: 1026 - 9576

No. 127 - Vol. 32

Summer 2014